الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قسنطينة- الجزائر

الرئيس الشاذلي بن جديد -رحمه الله-

المجاهد المناضل

بمناسبة الذكرى الخمسين لاسترجاع السيادة الوطنية

وتخرج الدفعة السادسة والعشرين

25 شعبان 1434هـ-04 جويلية 2013م

معلومات الاتصال بالجامعة:

عنوان الجامعة :

ص.ب 408 حي 20 أوت 1955 – قسنطينة - الجزائر

الهاتف :

031.92.21.34

031.92.21.99

031.92.26.94

031.92.26.95

الفاكس:031.92.21.41 - 031.92.21.79

العنوان- الإلكتروني:

E-mail : aziz_haddad_eak @yahoo.fr

موقع الجامعة في شبكة الانترنيت :www.univ-emir.dz

الدفعة السادسة والعشرون

الرئيس الشاذلي بن جديد- رحمه الله-
المجاهد المناضل

المشرف العام:

- مدير الجامعة أ.د/عبدالله بوخلخال

رئيس لجنة القراءة والتحكيم:

- الأستاذ: عزيز حداد

لجنة القراءة والتحكيم

- أ.د / إسماعيل سامعي
- أ.د/ كمال لدرع
- أ.د/ حسان موسوي
- أ.د/ محمد فرقاني
- أ.د/ سامي الكناني
- د/ سكينة قدور

الإشراف التقني

- صبرينة علاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا
اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

سورة الأحزاب : 23

كلمة أ. د/ عبد الله بوخلخال مدير الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

فها هي جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، وفيّة بعهدها مع أبنائها المتخرجين كل عام، بتشريفهم بشخصية علمية، ووطنية يحملون اسمها،

وقد تميز احتفال التخرج هذه السنة (2012- 2013م) بتسمية هذه الدفعة باسم:

" الرئيس الشاذلي بن جديد- رحمه الله- المجاهد المناضل"

مع تنظيم ندوة علمية تكريما له، شارك فيها نخبة من الأساتذة والباحثين في ميادين العلم والمعرفة والوطنية، كما تحمل كل طالب وطالبة كتابا تذكاريا بهذه الشخصية المتميزة وهذا التشريف ليس وليد اليوم أو وليد صدفة عابرة بل هو سنة حميدة سنتها الجامعة وأقرها المجلس العلمي للجامعة منذ سنة 2001م بتسمية الدفعات المتخرجة بتواريخ ناصعة ورموز وطنية بارزة، ابتداء بـ : الشيخ أحمد حماني(2002م) – الشيخ الفضيل الورتلاني(2003م)– الرئيس الراحل هواري بومدين(2004م) – الأستاذ مالك بن نبي(2006م) - الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم(2007م) – الأستاذ يحي بوعزيز(2008م) - الشيخ محمد البشير الإبراهيمي(2009م) – الشيخ أحمد بن يوسف أطفيش قطب الأيمة(2010م)- الشيخ عبد الرحمن الجيلالي(2011م)- الشيخ الشهيد العربي التبسي (2012م).

وها هي الجامعة تختار هذه السنة(2013م) الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد (رحمه الله) الذي افتتح هذه الجامعة في 1984/10/14م لطلبة العلم والمعرفة و واكبها بالعناية المباشرة وهذا ما شهد به جميع الذين عرفوه من قريب أو بعيد.

ومهما يكن من أمر فإننا لن نفي في هذا التقديم الموجز بمناقب هذه الشخصية الوطنية العظيمة، وأترك لمن يريد الاستزادة الرجوع إلى مساهمات الأساتذة الأفاضل من خلال المقالات والبحوث والشهادات المنشورة في هذا الكتاب التذكاري وفي غيره مما كتب عن الرجل بأقلام صادقة وفية لخط ثورة نوفمبر 1954 المباركة.

والله ولي التوفيق والحمد لله رب العالمين.

قسنطينة 19 جوان 2013

تقديم

أ/ عزيز حداد

نائب مدير الجامعة للتكوين العالي في الطورين الأول والثاني

والتكوين المتواصل والشهادات وكذا التكوين العالي في التدرج

إن تاريخ الجزائر المليء بالمفاخر والإنجازات الحضارية والبطولات عبر العصور، يفرض علينا الاعتزاز به دون النسيان والغرور، و الأمة الحيّة هي التي تعي ماضيها وتستلهم منه العبر لحاضرها، وذلك بغرس القيم الفاضلة، من تضحية ووفاء، كما، أنّها تتطلع وتستشرف لمستقبل أفضل بالعمل المخلص لا بالاتكال وطول الأمل والكسل، وبذلك نكون خير خلف لخير سلف.

وانطلاقا مما صنعه الأجداد والأمهات والآباء لهذا الوطن، يوجب علينا تذكّرهم، والمحافظة على رسالتهم النبيلة، خاصة في ظل التغيرات والتحديات.

إنّ أسرة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية تجدد العهد في حفل نهاية السنة الجامعية 2012-2013، مع دفعة التخرج السادسة والعشرين، والتي تحمل هذه السنة كما هو معلوم اسم رجل عاش وعمل للجزائر في محنتها ومنحتها، في آلامها وآمالها ، هو: الرئيس الشاذلي بن جديد – رحمه الله- المجاهد المناضل.

إذا كان التاريخ يشهد للرئيس الراحل هواري بومدين –رحمه الله – بوضع حجر الأساس، ومتابعة مشروع الجامعة وجامع الأمير عبد القادر بقسنطينة ودعّم ذلك إلى أن لحق بالرفيق الأعلى في 27 ديسمبر 1978، فإن الجامعة الإسلامية تدين لرجل ضمن قافلة الذين بعثوا صرحها وهو الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد –رحمه الله- الذي دشنها في 14 أكتوبر 1984 وأولى لها عناية خاصة، حيث جلب إليها أساتذة مختصين ووفر لها كل الدعم المادي والمعنوي، وهذا من شيم رجال هذا الوطن العزيز .وقد اثرى قلم مجموعة من الأساتذة الأفاضل للكتابة والإدلاء بشهاداتهم حوله، ومع ذلك لا تحيط

جهودهم بجميع جوانب حياته وأعماله وخصاله، وإنما تفتح المجال للكتاب والباحثين للتعمق أكثر في دراسة لضالات الرجال ومناقبهم. وهذا أقلّ ما يقدم لهذا الرجل اعترافا لمجهوداته في خدمة الوطن والعلم والمجتمع. فهنيئا لطلبتنا على نجاحهم وتفوقهم.

وفق الله الجميع لما فيه الخير للبلاد والعباد.

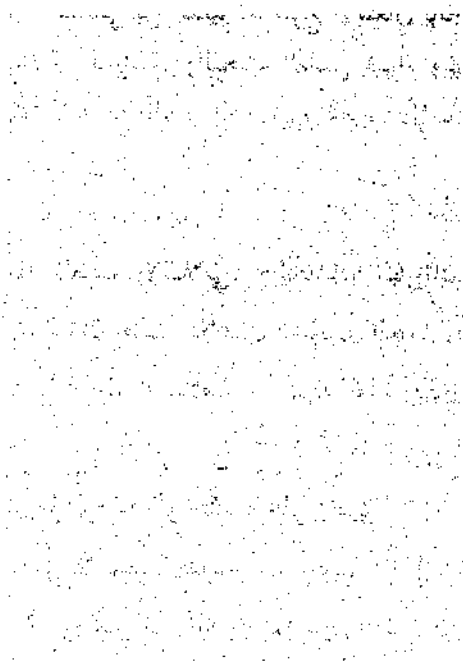

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إرساء دعائم التواصل والبناء الحضاري العربي الإسلامي

أ.د . إسماعيل سامعي

عميد كلية الآداب والحضارة الإسلامية

إذا كان الرئيس هواري بومدين قد وضع الحجر الأساس لبناء جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة ابن باديس وقسنطينة المجاهدة، وقسنطينة الحركة الوطنية، وقسنطينة الثورة، وقسنطينة البناء والتشييد، وقسنطينة العلم والتاريخ، فإن الرئيس الشاذلي بن جديد قد سرع الأشغال بإنجازها، وقام بتدشينها، وأعطى الإشارة بانطلاق الدراسة، والبحث العلمي فيها، وبهذا الصنيع قد مهدا الرئيسان لإرساء دعائم إعادة البناء الحضاري العربي الإسلامي في هذه الربوع وتواصله انطلاقا من قسنطينة

وإذا ظلت القيروان والقرويين الدعامتان الأساسيتان على مدى القرون للبناء الحضاري في منطقة الغرب الإسلامي، والمنارتان البارزتان في العطاء العلمي والفكري، والمعبدان اللذان ظلت الأعناق تشرئب إليهما ردحا من الزمن، فإن جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة العلم والتاريخ قد أصبحت ثالث ثلاثة في حمل مشعل الاستنارة في ربوع بلاد المغرب اليوم إذا لم أقل أنها بدأت تنفرد بحمل هذا المشعل لوحدها أو متقدمة على أختيها.

وإن ذلك لم يتحقق إلا بفضل جهود الأمة، وعزيمة الرجال، ودماء الشهداء، ومداد العلماء، وصدق الساسة، وحنكة قادة هذه البلاد ومنهم الرئيس الشاذلي بن جديد فإليه، وإلى الرئيس هواري بومدين يجب أن يهدى هذا الكتاب. وإليهما ولأمثالهما يصدق فيهما قوله تعالى: "مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً " " .

صدق الله العظيم - سورة الأحزاب : 23 -

حياته وشخصيته

نبذة عن حياة الرئيس الشاذلي بن جديد من خلال مذكراته[1]

اقتباس يتصرف الأستاذ/ عزيز حداد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية

كثير هم الذين يؤلفون ويكتبون في شتى العلوم والفنون والمعارف، و يترجمون ويذكرون مناقب غيرهم، و وينسون الكتابة عن حياتهم وسيرتهم لسبب من الأسباب، إلا أن هناك من دوّن أعماله وكتب مذكراته مثل تشرشل وديغول...ومن رجال الجزائر وزعمائها :الرؤساء الثلاثة –رحمهم الله – أحمد بن بلة، والشاذلي بن جديد، وعلي كافي.

وبمناسبة تخرج الدفعة السادسة والعشرين لطلبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية 2013/2012، التي تحمل اسم الرئيس الشاذلي بن جديد المجاهد المناضل، ارتأيت أن أقدم ومضات ونبذة عن حياته من خلال مذكراته الجزء الأول: 1929– 1979، من ميلاده إلى عشية توليه رئاسة الجمهورية، والتي جاءت في 297 صفحة بإسهاب . حيث قمت باقتباس وتصرف في وضع النصوص المقتبسة بين شولتين، وبعض العناوين والنقاط مكان الجمل والفقرات المحذوفة.

✓ **أصوله (نسبه):**

"كنت دائما أقول. بكل فخر واعتزاز، لمن يسألني عن أصولي:(أنا أمازيغي عربي الإسلام) هذه المقولة لعبد الحميد بن باديس تمثل بالنسبة إليّ، حقيقة آمنت بها، وحددت هويتي وانتمائي، وحتى مكانتي كجزائري في هذا العالم.

جئت إلى هذه الدنيا يوم 14 أفريل من سنة 1929 في بلدة "السبعة". وسمي مسقط رأسي بهذا الاسم نسبة إلى سبعة إخوة، هم نواة عشيرة بن جديد، أو عرش "الجدايدية" كما يحلو للبعض تسميتنا. وهناك رواية أخرى، لا أدري مدى صحتها، تقول

---

[1]– الشاذلي بن جديد، مذكرات الشاذلي بن جديد: الجزء الأول، ملامح حياة 1929–1979، تحرير: عبد العزيز بوباكير، الجزائر: دار القصبة للنشر، 2011.

إن "السبعة " هو تحريف لكلمة "سبها" المحرفة هي الأخرى من "سبأ" وتقع هذه البلدة في أقصى الشرق الجزائري بين مدينة عنابة وبلدة بوثلجة (بلاندان سابقا Blandan). وتتوسط "السبعة" غير بعيد عن البحر، سهلا شاسعا من الحقول والاحراش والمستنقعات يمتد إلى ما لانهاية، وتضيع مشاهده بعيدا في الأفق، متماهية مع سلسلة بوعباد الجبلية الشامخة التي احتمى بها مجاهدو جيش التحرير خلال الثورة.

هذه البلدة تتناثر بيوتها فوق أراض خصبة، وتبدو لمن ينظر إليها من بعيد ملتحمة بعضها ببعض، وبعضها الآخر معزول وسط المزارع والبساتين. وتشكل حاليا مجموعة حضرية صغيرة تابعة إداريا لولاية الطارف التي يحدها البحر الأبيض المتوسط شمالا، وولاية قالمة وسوق اهراس جنوبا، وولاية عنابة غربا، أما شرقا فهي متاخمة للحدود التونسية. وتوجد بها بحيرات الطيور والمخاضة والتونغا والماحة، وهي من أجمل المحميات الطبيعية في العالم، إلى حيث تلجأ شتاء أسراب الطيور المهاجرة من أوروبا. في هذا الوسط الطبيعي الخلاب، بين الوادي الكبير ووادي بوناموسة ووادي سيبوس، أمضيت طفولتي ومراهقتي وجزءا من سنوات كفاحي.

نشأت وترعرعت، ككل أطفال ذلك الوقت، في وسط تنتشر فيه الأساطير والخرافات والحكايات الشعبية. وكان ما ترويه لنا جداتنا يمثل، بالنسبة إلينا، حقائق لا يرقى إليها شك..."،ص21-22.

أنا إذا صدقنا هذه الروايات، من عشيرة من شبه الجزيرة العربية، قسم منها أقام غرب ليبيا وتونس، وقسم آخر في قصر الشلالة، وثالثا في جبل عمور، وقسم رابع في الساقية الحمراء ووادي الذهب. وبالرغم من تشتت العشيرة في مناطق متباعدة إلا أن الصلة، حسب ما روى لنا آباؤنا، ظلت قائمة بين فروعها إلى عهد قريب بدليل أن أفراد من فرعي ليبيا وتونس كانوا يزورون بلدتنا ويشاركوننا أفراحنا وأتراحنا ...". ص23.

أما فيما يخصني، فقد أدركت، حين بلغت سن الرشد، أن ما يروى لنا عن الأصول هو مزيج من الحقيقة والخيال. وقد حسمت هذه المسألة نهائيا. فأنا معتز بأمازيغيتي، فخور بانتمائي العربي، متمسك بمعتقدي الإسلامي. وهذا الثالوث يشكل، في نظري، هوية الجزائريين في غناها وتعددها.

ولعل أطرف ما يتصل بحكاية الجذور هذه ما حدث خلال زيارة رسمية قمت بها إلى صنعاء سنة 1980. فقد فوجئت حين شاهدت جماهير الشعب اليمني تستقبلني استقبالا حارا، حاملة لافتات كتب عليها بخط عربي جميل:" مرحبا بكم في أرض أجدادكم". وقد سرني ذلك، وتأثرت له أيما تأثر، وتذكرت تلك الحكايات التي كنت أسمعها في صغري، وكانت تروى على تعاقب الأجيال.

وفي مساء ذلك اليوم قال لي أحمد علي غزالي، وزير الأشغال العمومية آنذاك، وكان يرافقني في تلك الزيارة، إنه لاحظ تشابها مثيرا للدهشة بين لهجتنا، نحن الجزائريين، ولهجات اليمنيين. ثم طلب مني أن أسمح له بزيارة بعض أسواق صنعاء للتأكد من ذلك. وعاد في المساء مستغربا مندهشا ليقول لي:"سيادة الرئيس، إنهم يشبهوننا في العادات، ولهجاتهم تشبه لهجاتنا الأمازيغية إلى حد بعيد.

بعد استقرار الإخوة السبعة في المنطقة قدمت، على مراحل عالات صغيرة من مختلف أنحاء البلاد، وأقامت حولهم طلبا للحماية والأمان، وأعانت الولاء مقابل تقديم خدمات معينة...". ص 25.

نحن، إذا عائلة من الشرفاء بالمفهوم الذي يضفيه الجزائريون على هذه الكلمة. وقد اشتهرت عائلتنا بمقاومتها للظلم في منطقة "السبعة" وما جاورها. فجدي مبروك، عرف برفضه لدفع الضرائب للعثمانيين. الذين، كما هو معروف، كانوا يغالون في تسليط العقوبات على السكان، ويثقلون كاهلهم بالضرائب، يجمعونها بالقوة، ويصادرون المحاصيل، ويسلبون المال، ويستولون على الماشية، الأمر الذي دفع جدي إلى إعلان العصيان عليهم ومحاربتهم فترة طويلة. كان يشبه أولئك المدافعين عن شرف القبيلة الذين حاربوا مختلف أشكال الاحتلال طيلة تاريخ الجزائر الحديث. وفي إحدى المعارك قطعت ذراعه. ومنذ ذلك الوقت اشتهر بمبروك بوذراع، وشاع اسمه في المنطقة...".ص27

" شجرة نسبي، إذن كما هي مقيدة في الإدارة الاستعمارية، هي كالتالي:

من جهة الأب أنا الشاذلي بن جديد (1929) ابن الهادي (1897) ابن أحمد (1860) ابن مبروك (1800) ابن محمد (1740) ابن مبروك المعروف ببوذراع (1660).

من جهة الأم أنا الشاذلي بن جديد ولد صاحة بنت الشيخ محمد ابن مبروك ابن محمد ابن مبروك.

كنت دائما أقول، بكل فخر واعتزاز، لمن يسألني عن أصولي: "أنا أمازيغي عربي الاسلام". هذه المقولة لعبد الحميد بن باديس تمثل، بالنسبة إلي، حقيقة آمنت بها، وحددت هويتي وانتمائي، وحتى مكانتي كجزائري في هذا العالم". ص32.

✓ **نشأته مع أهله:**

"عشت وأبناء عمومتي هكذا في طفولتي في جو الحكايات عن الأجداد والآباء تمجد البطولات وتقدس الماضي. وكان عالمنا تحكمه قيم الرجولة والبطولة والشرف واحترام الكبار. كان عالما صغيرا تكتنفه الأسرار والألغاز.احتفظ عن البيت الذي ولدت وترعرعت فيه إلا بذكريات وصور مبهمة باهتة. كنا نعيش على بعد كيلومترين عن "السبعة" وسط الريف، نسكن منزلا كبيرا بمحاذاة مجرى ماء وقطع أراض مسيجة تستعمل كإسطبلات للخيول والماشية. كان أفراد العائلة يمضون جل يومهم في العمل في الحقول. وكنا نتمتع باحترام الجيران. كانت علاقة التضامن والتآزر هي السائدة في أوساط العرش والجيران. وكان التضامن يبرز خاصة في مواسم الزرع والحصاد وفي أوقات تفشي الأوبئة.

إنه بلا شك صمام الأمان في مواجهة المحن والتقلبات الدهر. كانت عائلة بن جديد مضرب المثل في السخاء والكرم والتضامن. كانت عائلة تقليدية بأتم معنى الكلمة، تولي أهمية كبيرة لمسائل الشرف والأصول، شديدة التدين متمسكة بالعادات والتقاليد والتراتب الاجتماعي " ص31.

ولد أبي في 9 ديسمبر1897. كان مزارعا، يملك أراضي خصبة ورثها عن أبيه تكفيه للعيش الكريم. وكانت أمنيته أن ينقل إلى أبنائه حب الأرض والتفاني في خدمتها. كان هو مدلل العائلة مقارنة بأخواته الأربع... وقد أصبح فيما بعد يدعى "المشوش"، خلال نضاله في الحركة الوطنية وأثناء الثورة بسبب مواقفه المتصلبة وعناده ودفاعه المستميت عن أفكاره... وحين كانت أمه تدع عليه تقول له" روح يا الهادي ربي يعطيك المال ويذهب رأيك". ولما كانوا يسألونها كيف يمكن لأنسان أن يملك مالا حين يذهب

رأيه. تجيب "ما لفائدة أن يكون عنده المال إذا ذهب رأيه". وقد ظلّت هذه العبارة في ذهني، وكنت أرددها باستمرار عن المسؤولين في العالم الثالث" أعطاهم الله الخير وذهّب رؤوسهم".

أمي أيضا، تحمل لقب بن جديد، واسمها صالحة. ولدت في 1899، أي أنها كانت تصغر أبي بعامين. كانت امرأة متواضعة طيبة، ولم تكن تهتم إلا بشؤون البيت، وتسهر على تربيتنا. ومنها تعلمنا الحكايات الشعبية والألغاز والأحاجي. كانت مثالا للمرأة القنوع الطائعة لزوجها، شديدة الإيمان بالقضاء والقدر.

لقد تعبت، حقا، في تنشئتنا وتربيتنا، وحين كانوا يسألونها عنا كانت تقول "تربية ربي". عشت طويلا بعيدا عنها بسبب ظروف تنقلي من مدينة لأخرى، ولم أرها أثناء الثورة إلا نادرا. وحين انتخبت رئيسا للجمهورية كانت في ضيافة أختها المتزوجة من أستاذ من أصل قبائلي في العاصمة. كانت أول من سارعت إليه. طالبا منها أن تدعو لي بالنجاح والتوفيق. وقد فارقت الحياة رحمها الله يوم 12 جوان 1990، أي يوم الإعلان عن نتائج الانتخابات البلدية. فبعد أن أديت حقي الانتخابي بلغني خبر وفاتها، وفي المساء طرت إلى عنابة لتشييعها إلى مثواها الأخير. ومازلت إلى اليوم أذكر، كلما وقفت مترحما على قبرها، مشهد مغادرتي، رفقة الوالد، "السبعة" إلى مدينة عنابة للدراسة. لم تتوقف عن البكاء، تترجى الوالد أن يتراجع عن قرار إرسالي إلى عنابة" ".ص32.

التعليم والشيخ صالح:

✓ في مدرسة رحبة الزرع

"لما تكامل لي من العمر ست سنوات التحقت بالمدرسة العمومية الابتدائية في بونة(عنابة) سنة 1935. فكانت آنذاك أول من دخل المدرسة من أبناء الهادي بن جديد، لأن أخواي أحمد والحسين درسا في الكتّاب القرآني وكانت هذه المدرسة تسمّى مدرسة" رحبة الزرع" لأنّها تقع قبالة ساحة كان تجار المنطقة يبيعون فيها القمح والحبوب الأخرى أصبحت تحمل اسم مدرسة عسلة حسين للذكور. وقد تعلم في هذه المدرسة العديد من التلاميذ. أصبحوا فيما بعد مناضلين في الحركة الوطنية ومجاهدين بارزين اثناء الثورة. تلقيت المبادىء الأولى في اللغة الفرنسية على يد معلّم مهذّب ذكي يدعى مالوفي. كان يدير هذه المؤسسة التعليمية المخصصة للأهالي أوروبي اسمه بينو Puneau. وبقيت أزاول

دراستي بها من سنة 1935 حتى 1940. كنت حينها أقيم في بيت عمتي بحي أوزاس الشعبي cité Auzas. وأقطع يوميا سيرا على الأقدام ستة كيلومترات ذهابا وإيابا. كانت بونة (عنابة) بالنسبة إليّ معامرة واكتشاف وصدمة... لأني وجدت نفسي في وسط أوروبيين لا أعرفهم بل لا أفهمهم...كان بينهم فرنسيون وإيطاليون ويهود ومالطيون. وكانت أسعد أيام العطل، لما أعود إلى "السبعة" لأشارك والدي في هوايته المفضلة وهي الصيد وركوب الخيل...

اضطرت كل العائلة إلى الانتقال إلى بارال بسبب نفي الوالد، وغادرت بونة لألتحق بالصف السادس في مدرسة ابتدائية مختلطة ببارال Barral....

لم تدم إقامتي ببارال طويلا، إذ سرعان ما أرسلني والدي إلى موندوفي Mondovi (الدرعان حاليا) عند أحد أقاربنا لمواصلة الدراسة في الطور المتوسط...

كان عددنا نحن الجزائريين، في مدرسة موندوفي المتوسطة ثلاثة، أنا وفرعون ونائلي...كانت المتوسطة مخصصة لأبناء الكولون والموظفين الأوروبيين... وتم تسجيلنا برخصة خاصة. كنا نجلس في الصفوف الخلفية...كنا نحس في أعماقنا بالفارق بين ما تعلمناه في محيطنا العائلي ومدارس القرآن وبين ما تلقنه لنا المدارس الفرنسية. كانت مقولة" أجدادنا الغاليين Nos ancêntres les Gaulois، ونشيد Maréchal nous voila أيّها الماريشال نحن مستعدون"، الذي كنا نستمع إليه في الساحة خلال رفع العلم بداية كل أسبوع...

كانت دراستي متقطعة وتركتها في وقت مبكر بسبب نفي الوالد واضطراري إلى التنقل من مدينة إلى أخرى... في 1939 كانت نذر الحرب العالمية الثانية تلوح في الأفق... وكنا نسمع بأسماء المارشال بيتان وهتلر وموسوليني وديغول وستالين... في نوفمبر 1942 نزل الحلفاء في شواطيء عنابة ضمن عملية "طورش"... أغلقة المدارس، وحولت إلى معسكرات لإيواء جيش الحلفاء". ص 33-39.

✓ معلمه الشيخ صالح

"بعد ذلك التحقت بكتاب قرآني مع أطفال "السبعة" كنا نجلس أرضا مثلما هو الحال في كل الكتاتيب. ونكتب بالصمغ على لوح مطلي بالصلصال كنا نعده بأنفسنا. أما الريشة فكانت من قصب. وكانت الضوضاء تملأ المكان كله. كان معلمنا الشيخ صالح

يدرك، بحكم التجربة والحنكة، من منا جاد في ترتيل القرآن ومن هو غير ذلك. كان صارما لكل عادل. وكان في بعض الأحيان ينهال بعصاه على الكسالى والساهين من التلاميذ. وحتى ابنه لم يكن ينجو من ذلك. إذ كان في بعض الأحيان ينال منه "الفلقة" ويضربه ضربا مبرحا. أما أنا فلا أذكر أنه ضربني يوما ما. فقد كنت أحفظ من القرآن ما هو مطلوب منا في ذلك اليوم وفي اليوم الموالي. وأتممت على يده حفظ القرآن الكريم إلى سورة "يس".

وكان أكثر ما رسخ في ذاكرتي من قصص الأنبياء التي كان الشيخ صالح يرويها لنا قصة داود عليه السلام. وأنا إلى اليوم. أتأمل في معاني قصته، وكيف أن الله أتى له من فضله، وجمع له بين الملك والحكمة والنبوة، بين خير الدنيا وجزاء الآخرة. وكنت طيلة حكمي أحاول أن لا أنسى قوله تعالى: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ صدق الله العظيم.

ما زلت أحتفظ بصورة الشيخ صالح إلى اليوم. ربما هي صورة مثالية فيها الكثير من تخيلات الصبي الذي كنته. وربما هي صورة منمقة بحكم الحنين إلى ذلك العهد. كان جميلا ببرنوسه الأبيض ولحيته المقدودة. كان من أهل الصلاح، تقيا يمثل، بالنسبة إلي، الطهر والصدق والوقار. ذات يوم قال لوالدي بحضوري: "سيكون لابنك هذا شأن عظيم". وقد أوصى فيما بعد والدي بإرسالي إلى جامع الزيتونة لمواصلة دراستي. وفي الخمسينيات قرر والدي، بالفعل، إرسالي إلى الزيتونة واشترى جهاز الملابس، لكن الأمور جرت عكس ذلك لسبب لا أعلمه.

كان الشيخ صالح من أتباع الطريقة الهبرية، تزوج من امرأة أمية من منطقة بسكرة، وأقام في "السبعة" كأحد أبنائها. كانت لهجته مشرقية ربما بحكم تعلمه في المشرق. وكنا نتساءل باستمرار كيف أصبح هذا الشيخ من أتباع الطريقة الهبرية هنا في منطقة القالة في حين أن هذه الطريقة منتشرة، أصلا في أقصى الغرب الجزائري. لقد غذى فينا هذا المعلم الروح الوطنية، وغرس في نفوسنا الإيمان. بعد الاستقلال التقيت به، لكنه لم يتعرف علي لأنه أصبح كفيفا.

وفي الفترة نفسها تابعا بشكل متقطع دروس الفرنسية على يد معلمة فرنسية، ابنة عقيد فرنسي تزوجها القايد مختاري، كانا يسكنان في مزرعة عمي إبراهيم. وكانت هذه الفرنسية تسهر على تربية بنات زوجها في البيت، واقترحت على الانضمام إلى دروسها لخلق جو من التنافس في القسم. كانت دائما تقول لي : " لماذا أنت مختلف عن الآخرين؟ مضيفة بعربية مكسرة " أنت راسك خشين". وكانت تقصد بالطبع، أنت لا تحب الفرنسيين. واقترحت على والدي إرسالي عند أختها بفرنسا لمواصلة دراستي، لكن الوالد قابل اقتراحها بالرفض".ص40-41.

✓ **إخفاء السلاح:**

"بعد درس القرآن كنا نتناول العشاء باكرا، ونخرج للتجول في أطراف القرية، وأحيانا كنا نخاطر بأنفسنا رغم تحذيرات الآباء ونخرج فجرا. وكنا نشاهد، من حين لآخر، السماء ملتهبة، تضيء وتلمع بالأضواء الكاشفة بسبب المعارك الجوية بين الحلفاء والألمان. وشاهدنا في العديد من المرات طائرات وهي تهوي في البحر. كانت المعارك الجوية تجري أمام أعيننا، وكنا أحيانا نشعر وكأننا مشاركين فيها. وكان هدير الطائرات الألمانية من نوع ستوكا stuka القادمة من تونس وليبيا، وهي تنقض من السماء، يصم الآذان.

كان البحر يلقي من حين لآخر بحطام الطائرات والبواخر على الشواطئ. ذات يوم فجرا عثر نوار ، ابن خالي جلول، على حطام طائرة ألمانية، وأخبرنا بذلك فذهبنا إلى مكان سقوطها وعثرنا بداخلها على رشاش وبندقية ألمانية منو نوع "موزر" ومدفع شاش مثبت إلى مقدمة الطائرة. وحين استعيد اليوم ما قمنا به في مثل ذلك العمر أقف مذهولا. لم يكن ذلك مجازفة، بل كان ضربا من الجنون. فككنا الرشاش البندقية وأخذنا السلاح إلى المزرعة، ودهناه بشحم أخذناه من محل حدادة يملكه والد مبروك، ثم لففناه بالقماش، وأخفيناه في قطعة من الفلين تستعمل كجباح للنحل، ودفناه خفية في حفرة تحت نبات الصبار. ظل سر هذا السلاح مكتوما بيني وبين مبروك إلى سنة 1955.

إنه لمن طبيعة ذاكرة الإنسان أن تحتفظ باللحظات المشرقة والجوانب السعيدة في مرحلة الصبا. هل كانت طفولتي سعيدة؟ لا أجزم بذلك، لكنني حين استرجعها اليوم من وراء العقود الثمانية التي عشتها أجدها اليوم، بلا ريب، مزيجا من صور وذكريات عن

حنان الأم، وصرامة الوالد، ودفء الصداقة، وقيم تضامن الجزائريين في المحن والشدائد، وفي الوقت نفسه هي مشاهد من البؤس والشقاء فرضها الاستعمار على أمثالي من الناس"ص42-44.

✓ **خطواته الأولى في عالم السياسة:**

"كنت في السادسة عشر من العمر حين اندلعت حوادث 8 ماي 1945. ومرّ ذلك اليوم في بلدة "السبعة" كسائر الأيام، دون حديث يذكر، ثم سرعان ما بلغتنا أخبار عن مظاهرات سلمية شهدتها مدينة عنابة، تميزت برفع العلم الوطني لأول مر، قوبلت بقمع البوليس... وبعد أيام انتشرت أخبار متضاربة ومقلقة أثارت غليانا كبيرا في أرياف المنطقة وقراها. كان الكبار يتحدثون، بألم واستنكار، في المقاهي والأسواق الأسبوعية ، عن مظاهرات جرت في عدة مدن من الشرق الجزائري، مثل سطيف وخراطة وقالمة... لكن الشرطة الاستعمارية والمعمرين ردوا على تلك المظاهرات العفوية بإطلاق النار، دون تمييز، على جموع الجزائريين. وعلمنا فيما بعد أن المطاردات والتقتيل وعمليات التمشيط استمرت عدة أيام تحت قيادة الجنرال ديفال، وبمشاركة اللفيف الأجنبي والطابور المغربي والجنود السنغاليين. وسمعنا أيضا بقصف الطيران والبحرية الفرنسيين للقرى والمداشر... بعد حوادث 8 ماي شرعت السلطات الاستعمارية في مصادرة محاصيل عائلات الفلاحين الفقيرة... شكلت حوادث 8 ماي 1945، بالنسبة إليّ وإلى أبناء جيلي، تحولا هاما على أكثر من صعيد، وبدأت أدرك تحت تأثير الوالد أن الأمور لن تسير في الجزائر، فيما هو قادم من أيام، كما في السابق، ووجدت نفسي أنخرط في العمل السياسي بعد أن كنت اعتبر السياسة حكرا على الكبار. وقد استقطب حزب فرحات عباس في مدن سهل عنابة ملاّك الأراضي وممثلي البرجوازية الصغيرة والموظفين وأصحاب المهن الحرة. وكان والدي من أوائل من انضموا إلى هذا التنظيم وأسهم بحماس في الحملة من أجل المشاركة في انتخابات المجلس التشريعي الثاني بتاريخ 2 جوان من سنة 1946. التي أحرز فيها هذا الحزب على 11 مقعدا من مجموع 13 مقعدا .وكان من بين الفائزين باي العقون، أحد أصدقاء الوالد". ص45-47.

كانت خطواتي الأولى في عالم السياسة تحت تأثير الوالد الذي كان مرشدي الحصيف في هذا الميدان. كنت بالطبع، أسمع بأسماء مصالي الحاج وفرحات عباس والشيخ الإبراهيمي لكنني لم أكن أدرك، في مثل سني، مغزى الصراعات التي كانت تجري آنذاك بينهم وبين الإدارة الاستعمارية. كان مستوى النقاش السياسي يتجاوز حدود مداركي. لذا كان علّي ان أتعلم بنفسي.

وجدتني وأنا بعد شاب يافع ادخل عالم السياسة من باب الانتخابات. فقد شجعني والدي على المشاركة كمراقب في انتخابات 1947 التي جرت بعد مصادقة البرلمان الفرنسي على القانون الاساسي للجزائر الذي رفضته كل الاحزاب الوطنية. واختارني لأداء تلك المهمة معلم فرنسي كان يرأس مركز الانتخابات التي اجريت في "السبعة" .أذكر اننا قمنا بجلب الناخبين من مداشرهم وامن لهم الاكل والمبيت لحثهم على التصويت على لوائح الحزب، وإفشال التزوير الذي كنا نخشى منه.

كانت أول تجربة لي اكتشفت خلالها المبادئ الأولى للعمل الحزبي، وأهمها الدعاية السياسية وتنظيم التجمعات والخطب وتوزيع الملصقات. في المركز الذي عملت به حاول القايد مختاري أن يؤثر في سير الانتخابات، فجلس بطريقة استعراضية على كرسي بالقرب من الصندوق ولم يتوقف عن التحديق باستفزاز في وجوه الناخبين لترهيبهم ودفعهم إلى التصويت على قوائم الإدارة. طلب مني والدي أن اسأل المسؤول عن المركز عن أحقية هذا القايد التواجد معنا هنا. وحين سألته قال لي ليس من حقه، ثم طلب منه أن يغادر المكان .قبل خروجه شتمني هذا القايد وهدد بالانتقام مني. وبالفعل، اشتكاني إلى الدرك الذي ظل يترصد تحركاتي عدة أيام لاعتقالي في أطراف البلدة، فاضطررت إلى الهروب إلى عنابة في سيارة "طركسيون" للنائب في المجلس الجزائري باي العقون كان هذا القائد صديقا للعائلة، ثم أصبح عدوها اللدود وسببا في العديد من المشاكل التي لاحقت والدي فترة طويلة.

عاد والدي إلى عمل الأرض بعد انقطاعه عنها أثناء فترة نفيه وسنوات الحرب العالمية الثانية كانت أراضيه تقع في سهل عنابة بمحاذاة الوادي الكبير الذي ينبع من الحدود التونسية وتصب مياهه في البحيرة الكبيرة المسماة المخاضة والممتدة من موريس إلى

مكان يعرف بـ 45. وكانت المياه تغمر المنطقة كلها في فصل الشتاء فيضطر السكان إلى استعمال البطاح للانتقال بين ضفتي البحيرة.

وكان الوالد يسعى إلى تقليد المعمرين في طريقة تنظيم العمل والسقي وجني المحاصيل. واقتنى الآلات الزراعية الحديثة لاستعمالها في فلاحة أراضيه. وما زالت بقايا الجرار الذي اشتراه في الخمسينيات موجودة إلى اليوم، أمام ما تبقى من بيتنا الذي هدم خلال الثورة.

كان التنافس بينه وبين معمري المنطقة شديدا، لكنه لم يكن متكافئا. ذات يوم قال أحد المعمرين، باستخفاف لوالدي وكنت أترجم بينهما: "يا سي بن جديد السماء واسعة ومليانة غبار، وإذا بقيت تنظر إليها يتعمروا عينيك بالغبار". ومن الواضح انه كان يقصد من وراء كلامه لا تحاول أن تقلدنا لأنك لن تصل إلى مستوانا مهما بذلت من جهد.

وكانت الإدارة، من جهتها، تثقل كاهل والدي بالضرائب. وكانت ترسل إلى أراضيه مفتشين لجرد أملاكه ومحاصيله. ذات مرة سجل المفتشون في الجرد أن الهادي بن جديد يربي الخنازير. ولما ذهب الوالد يشتكي في مدينة القالة محتجا بان المسلمين يعتبرون الخنزير حراما ولا يربونه، كان ردهم الوحيد "ادفع الضرائب وسنرى فيما بعد" كانوا يعرفون انه لايربي الخنزير لكنهم أرادوا الضغط عليه وتركيعه.

إلا أن والدي لم يستسلم للأمر الواقع. فكان يتعاون أحيانا مع بعض المزارعين الأوربيين، منهم صديقه المعمر الفرنسي برنار. كانا يشتريان الماشية الراهمة من الفلاحين في سوق موريس —بن مهيدي حاليا– ويقومان بتربيتها وعلفها جيدا في "السبعة" الغنية بالأعلاف، ثم يبيعانها في أسواق المنطقة فرصة أسبوعية للفلاحين لبيع البقول والماشية وشرائها وعقد الصفقات وتبادل المنافع. وكنت من حين إلى آخر أرافق والدي في عربة خيل إلى سوق موريس Morri أيام الأربعاء وبلاندان Blandan أيام الاثنين.

في تلك الفترة اشترى والدي فرسا بعدما أصبحت غير صالة للسباقات التي تقام في عنابة. كان فخورا بها ويعتني بها شخصيا. ذات ليلة تسلل مجهولون إلى الإسطبل واخرجوا الفرس واقتادوها إلى مكان غير بعيد وقتلوها رميا بالرصاص. والمؤكد أن ذلك كان تحذيرا واضحا للوالد من أن الرصاصة القادمة ستكون من نصيبه، أن هو واصل تعنته ومشاكسته.

كنت في الغالب مساعد الوالد في تنظيم فوق أراضيه، أقوم عادة بعمل المحاسب. كنا ندفع للفلاحين تسبيقات ونقتطعها من أجورهم بعد ذلك. أتذكر أنني كنت أساعدهم بمواد غذائية دون علم والدي. واعتقد أن العطف الذي لازمني طيلة حياتي على الفلاحين مصدره احتكاكي بهم حين كانوا يعملون في أراضي الوالد. كان عمل الأرض في ذلك الوقت شاقا وصعبا بالفعل وكان الفلاحون يشتغلون من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وكان اغلبهم عمالا موسميين قدموا من مناطق الشاوية والمناطق الحدودية الفقيرة بعد أن دفعتهم المجاعة والبطالة والحاجة إلى سهل عنابة الخصب بحثا عن الرزق. وكانوا يقيمون بعائلاتهم طيلة موسم الحرث وجني المحاصيل.

في أراضينا كان يعمل خماسون – أي الفلاحون الذين يأخذون، كما هو معهود، خمس المحصول – وحضارون، وهم الفلاحون الذين كان والدي يوظفهم في موسم جني محاصيل الكاكاو والتبغ والقمح والشعير والحبوب الجافة إلى غير ذلك مما كنا ننتجه من خضر. هؤلاء كانوا يأخذون نصف الغلال بعد خصم البذور والتكاليف الأخرى.

أما المعمرون فقد كانوا يستغلون هؤلاء الفلاحين أبشع استغلال. واخترعوا في ذلك الوقت عبارة تدل على مدى احتقارهم التي يمكن ترجمة معناه L'Arabe il faut lui faire suer le burnous لهم. وهي:" اجعل الفلاح يعمل حتى تنهك قواه الجسدية وينضح برنوسه عرقا". ولا شك أن هذه العبارة وظفت لصرف الفلاحين عن الاهتمام بشؤون السياسة وهي تدل في الوقت نفسه، على نوع من الكفاية الذاتية والادعاء والعجرفة أقامها معمرون من أمثال: Zamit,Beugin,Magra,Latril , Albertini,Cardenti، ومن جاء من بعدهم على عرق ودماء الجزائريين. فبعد أن بسط هؤلاء يدهم على الإدارة المحلية، خالقين بذلك "لوبي" قويا في المجالس المنتخبة شرعوا في الاستيلاء على أراضي العروش عن طريق الابتزاز والمصادرة والتهديد وتفكيك الروابط الأسرية لدفع بعض أفرادها إلى بيع أراضيهم، وتمكن بعضهم من تملك آلاف الهكتارات، إلى درجة أن المعمر اليهودي بيغين كان يراقب أراضيه نظرا لشساعتها، بواسطة طائرة. وبالإضافة إلى الاستغلال كان بعض المعمرين يبتز الفلاحين في حقوقهم. فبرتانيا مثلا، كان يدفع للفلاحين قسيمات

تشبه العملة ليشتروا بها المواد الغذائية من مخازنه، أي أنه كان يدفع لهم رواتب بيد ليستردها باليد الأخرى.

لم يكن العمل الفلاحي في أراضي والدي يستهويني حقا، فقد قضيت طفولتي وجزء كبير من مراهقتي في مدن عنابة وبارال وموندوفي، وفقدت مع مرور الوقت ارتباطي بالريف. ولذلك استأذنت الوالد للمشاركة في مسابقة بمركز للتكوين المهني في عنابة يسمى اليوم واد القبة، وشارك معي في المسابقة أيضا ابن خالي مبروك، لكن النجاح لم يحالفه. كان ذلك في نهاية 1947 كنا نتلقى دروسا نظرية وتطبيقية في ميدان البناء والكهرباء ومختلف المهارات اليدوية وكنا نخضع في هذا المركز، الذي كنت مسؤولا فيه عن المرقد، إلى نظام داخلي صارم كان هذا النوع من التكوين ذا مستوى عال ولم يكن متاحا إلا لقلة من الجزائريين.

في ذلك المركز بدأت اكتسب الوعي، بفعل الاختلاط بتلاميذ من مدن أخرى مثل قالمة وعنابة، كانوا يدرسون معي وشرعنا في المركز نجمع بانتظام الاشتراكات لحركة انتصار الحريات الديمقراطية، رغم ضعف المنحة التي كنا نتقاضاها في نهاية كل شهر كان أحد مناضلي الحركة لا نعرف حتى اسمه يتصل بنا لاستلامها. لم تكن الشعارات السياسية التي كانت ترفعها الأحزاب الوطنية آنذاك مفهومة بالنسبة إلينا، وكان مفهوم الاستقلال الوطني حلما غامضا لكن اقتناعنا به كان راسخا وعزز هذا الإيمان ما كنا نلاحظه من ظلم وتعسف كنا نشاهد أجانب من المالطيين والايطاليين واليهود يستقرون في سهل عنابة ويجدون العمل بسهولة وتوفر لهم الإدارة كل الإمكانيات للنجاح، أما الجزائريين فكانوا يطردون من مناصب عملهم لأبسط الأسباب وقد طردت شخصيا من إحدى الورش لسبب تافه. مهني بدبلوم لم يفدني كثيرا في حياتي العملية وحين غادرت المركز طلب مني أحد المعلمين أن أقترح عليه من يخلفني في الإشراف على المرقد فوقع اختياري على مصطفى سرايدي كان مصطفى نشيطا وذكيا وأكثرنا وعيا وتبصرا، وكان لي صديق حميم آخر هو محمود كنا نسميه ولد الرومية لان مربيته فرنسية الأصل، كنا كل مساء بعد الدروس نخرج للتنزه في شوارع عنابة، ونغامر أحيانا بالذهاب إلى ساحة bertagna ساحة الثورة اليوم التي كانت آنذاك فضاء خاصا بالأوربيين، وكان أكثر ما يستهوينا آنذاك الأفلام السينمائية وكرة القدم، فكنا نتردد على دور السينما وملاعب كرة القدم في نهاية

الأسبوع وكانت أكثر المقابلات إثارة هي التي تجمع بين فريقي عنابة وقالمة، ورغم التنافس الشديد بين الفريقين، إلا أن كرة القدم كانت آنذاك تعبيرا عن الانتماء إلى وطن وعقيدة". ص48-54.

✓ في شركة تاباكوب:

"في سنة 1951 التحقت بشركة تاباكوب TABACOOP التي تأسست أولا في مونلدوفي سنة 1920، ثم بعد عامين في عنابة. وكانت تجمع في شكل تعاوني منتجي التبغ والكروم في سهل عنابة وقالمة وتوظف يدا عاملة رخيصة من الأهالي والأوروبيين أيضا. وقد مارست هذه الشركة فترة طويلة أشكالا مختلفة من الضغوط على فلاحي المنطقة والمنتجين الصغار لدفعهم إلى بيع منتجاتهم بأسعار زهيدة يحددها المعمرون أنفسهم، بل أنها كانت تخلق لهم عراقيل ومشاكل إدارية للتضييق عليهم. غير أن الوضعية تغيرت في الخمسينيات بفعل عوامل مختلفة، منها انتشار الوعي في الوسط الريفي بفضل عمل التوعية التي كانت الأحزاب الوطنية تقوم به في الأرياف، الأمر الذي دفع أعضاء هذه الشركة التعاونية إلى توظيف مفتشين ومراقبين متعلمين MONITEURS اختاروهم من أبناء الأعيان والعائلات الكبيرة المعروفة في المنطقة.

كنت أحد هؤلاء، وكلفت بمنطقة أولاد دياب. كان عملي يتمثل في السهر على احترام الفلاحين لمعايير إنتاج وغرس التبغ وتقديم النصائح لهم وتنقيطهم من حيث جودة الحصول واحترام النوعية. وكنا نحن، الشباب المراقبين، نجتمع دوريا في مطعم الإطارات بمقر الشركة في سيدي إبراهيم، غير بعيد عن كنيسة القديس أوغسطين، لتلقي التعليمات والنصائح وإعداد برامج العمل. وكان يشرف على هذه الاجتماعات عقيد متقاعد من الجيش الفرنسي. وكان من بين الأصدقاء الذين عملوا معي في تلك الشركة العياشي بن عزة، الذي سيصبح فيما بعد صديقا حميما لعمارة بوقلاز، ومجاهدا بارزا في القاعدة الشرقية. في الثمانينيات التقيت به، وقد كان يعمل في شركة سوناطراك، اقترحت عليه أن أعينه رئيس دائرة، لكنه اعتذر بأدب.

كثيرا ما كنت ألاحظ أن بعض قياد المنطقة يمارسون ضغوطا على الفلاحين ويحاولون ابتزازهم للحصول على رشاوى مقابل تزكية إنتاجهم عند الشركة. وقد دخلت في

صراع مع أحدهم، يدعى وشن، كتبت به تقريرا إلى الإدارة . وبعد أيام استدعه المسؤول الإداري وحذره من مغبة ممارسة مثل هذه الأعمال. وتمضي أيام ويلتقي بي في سوق بوثلجة الأسبوعي، فأسرع نحوي قائلا: " ياسي بن جديد أنت راجل وأنا راجل، من يوم نحن صديقين". وقف المتسوقين مندهشين لرؤية هذا المشهد: قائد يضربهم بالسوط يعتذر لشاب!!. بعد الاستقلال شاهدته في أحد شوارع عنابة، تظاهر أنه لم يرن مشيحا بوجهه عني وعندما ناديته : " ياقائد ... ياقائد "، اضطرب قبل أن يسلم علي. من الواضح أنه كان بهذا السلوك يتمنى لو أن الآخرين نسوا ماضيه.

غادرت شركة تاباكوب TABACOOP سنة 1952 واكتسبت خلال السنتين اللتين عملت بها تجربة عملية غنية من خلال الاحتكاك بالفلاحين ومعايشة ظروف عملهم ومعاناتهم، للكن أهم ما اكتشفت فيهم حبهم للأرض. وتوسعت آفاقي ومداركي أيضا، من خلال تعرفي على شباب آخرين من مناطق أخرى.

عدت إلى "السبعة" بعد ذلك، وانصرفت كليا إلى هوايتي المفضلة وهي الصيد. كنت أخرج فجرا حتى في الشتاء، إلى الغابات والبحيرات المجاورة رفقة كلبين لاصطياد البط والأرنب البري والحجل وكان الحيوان الوحيد الذي كنت أتفادى إطلاق النار عليه هو الأيل البربري "بقر الوحش". كان الصيادون يقولون إنه يذرف الدمع مثل الإنسان حين يصاب برصاصة. وقد اندهشت ذات مرة، فعلا من تصرف عجيب وغير مألوف لهذا الحيوان. وفي بداية الثورة حصرنا أنا والعيساني وثلاثين جنديا بعد عملية تمشيط ضخمة قام بها الجيش الفرنسي، مدعوما بالطيران والمدفعية، فاضطررنا إلى الانسحاب إلى غابة قريبة، واختبأنا في حوض سحيق يشبه الثقوب التي تحدثها النيازك عند ارتطامها بالأرض. كان في إمكان العدو ردمنا تحت الأرض، غير أنه لم يتفطن إلى وجودنا. وقد كان قطيع من بقر الوحش يرعى بالقرب منا مطمئنا، رغم أنه كان من عاداته أن يهرب من الإنسان. وتمضي الحياة على وتيرة واحدة بين هواية الصيد والالتزامات العائلية إلى أن اندلعت الثورة في غرة نوفمبر".ص54-56.

✓ بارقة الأمل واندلاع الثورة:

في الفاتح من نوفمبر اندلعت الثورة، وكانت نتيجة طبيعة لتجاهل فرنسا للمطالب المشروعة للشعب الجزائري وكبت الحريات العامة والقمع الوحشي الذي سلطته على المدنيين العزل. وقد فاجأتنا جميعا، ولم نكن نتوقعها، كما لم نكن نعرف أهدافها وقاداتها. وحتى ذلك الصراع الذي اشتد بين المصاليين والمركزيين في صيف 1954 لم نكن ندرك جيدا أسبابه وخطورته وانعكاساته مستقبلا على مصير البلاد. أما أنا فيمكنني القول إنني شعرت أنها بارقة أمل، وأن شيئا ما مهما وحاسما قد حدث في تلك الليلة. أدركت ذلك من ملاحظة تصرفات والدي الذي كان لا يكف عن الاستماع إلى الأخبار في الراديو، وحين تصله أخبار غير سارة كان يطلب إبعاد الجهاز عنه حتى لا يهمشه.

لم تشهد عنابة وما جاورها من المدن أية عملية عسكرية في ذلك اليوم رغم وجود المجاهدين في الجبال. ووجب انتظار نهاية 1954 وبداية 1955 لتنقل المجموعات الأولى من المجاهدين إلى العمل المسلح. في منطقتنا تشكلت مجموعة صغيرة. وبدأت تنشيط، بقيادة المناضل شويشي العيساني، الذي كان يتلقى الأوامر مباشرة من عمارة العسكري، المدعو بوقلاز. وكانت هذه المجموعة تأتي من حين إلى آخر إلى " السبعة" لتجنيد الشباب وتوعية السكان بأهداف الثورة واستقاء المعلومات عن تحركات العدو وعملائه. وقد أولى المجاهدون الأوائل أهمية كبيرة لتوعية السياسة وللعمل التعبوي لمواجهة الدعاية الاستعمارية التي كانت تتحدث عن مؤامرة خارجية مدعومة من القاهرة والدول الاشتراكية، واصفة المجاهدين بالخارجين عن القانون.

كنت أنا والوالد على اتصال بهذه المجموعة. فقد أعطى عمارة بوقلاز تعليمات إلى العيساني للاتصال بوالدي وبي واستشارتنا في كل صغيرة وكبيرة. ومن غريب الأمور ومفارقات الزمن أن خصوم الوالد، الذين سببوا له مشاكل عديدة مع الإدارة الفرنسية، أصبحوا يلجؤون إليه مع بداية الثورة ويستنجدون به ويلتمسون حمايته. وقد آواهم الوالد في بيتنا فترة وجيزة، ثم طلب منهم الرحيل.

اتصلت بتلك المجموعة وأخبرتهم بأمر السلاح الذي أخفيناه سنة 1942. وبعد أيام أرسلوا إلى شخصنا، لا أتذكره، سلمت له الموزر والرشاش الألماني، ورافقته ليلا حتى بلغ

مكانا آمنا. عرفت فيما بعد أن القطعة الأولى أخذها أحد الأصدقاء، أما الثانية، أي الرشاش الألماني، فكانت من نصيب نائب العيساني نفسه. ويقيت في " السبعة "، بطلب من العيساني، أترصد تنقلات العدو وأجمع المعلومات...

كان عمري حين التحقت بالمجاهدين 26 عاما. وقد استشرت قبل ذلك والدي فشجعني بقوله: "ستة أشهر وينتهي الأمر"، كما استشرت معلمي الشيخ صالح الذي بارك مسعاي وشجعني بقوله: "هذا هو الطريق الصحيح .هكذا لم أنتمي في يوم من الأيام إلى الجيش الفرنسي ولم أؤد الخدمة العسكرية في صفوفه. ولم أشارك في محاربة الشعب الفيتنامي في الهند الصينية، كما أشيع عني لأسباب سياسية مغرضة الهدف منها النيل من سمعتي ومحاولة إيهام الناس بأنني التحقت بالثورة في وقت متأخر...أن لا أعتبر الانتماء إلى الجيش الفرنسي إهانة أو مساس بالشرف. وكنت أميّز بين من اضطر، لسبب أو آخر، لأداء الخدمة السكرية في الجيش الفرنسي... فقد كان لدي الكثير من الأصدقاء ممن خدموا في هذا الجيش، ثمّ بعج ذلك وجهوا السلاح ضده حين أدركوا أن لحظة الاختيار قد دقّت، ,أبلوا بلاء حسنا في المعارك التي خاضوها ضد من كانوا قادتهم في الثكنات الفرنسية...كنت قد طلبت، وأنا رئيس الجمهورية، من أحد مساعدي أن يقوم بتصحيح هذه المعلومات المغلوطة، لكنه لم يفعل. واليوم، أرى من الضروري أن أقوم بذلك في هذه المذكرات، رفعا لأي لبس، وتصحيحا لتاريخ الثورة والأشخاص بعد أن طالها الكثير من التشويش والتزوير".ص57-63.

✓ **سنوات اللهب:**

"عام 55 كان سنة الحسم بالنسبة إلي. ففي الربع الأول منه انتقلت، شخصيا، من معاينة الظاهرة الاستعمارية ومظالمها إلى محاربتها بحد السلاح. ولا شك أن ذلك الاختيار لم يكن سهلا، بل كان مصحوبا بكثير من القلق والتردد والحيرة. فلقد فاجأتنا الانتفاضة المسلحة، إذ لم نكن نعرف شيئا عن التحضير لها، ولم نكن نتوقع انطلاقها بتلك الطريقة المفاجئة، وكنا نجهل أهدافها البعيدة وقادتها، وإن كان الناس يتحدثون آنذاك عن الجهاد دون تبين وسائله ومراميه...

التحقت بالثورة بعد أن سبقني إليها سلاحي الذي أخفيناه قبل 12 سنة في مزرعة الخال. وفي اليوم الأول من انضمامي إلى المجموعة التي كانت تنشط بالمنطقة أمر شويشي العيساني، أول مسؤول في الناحية، بأن يعاد لي سلاحي، وعينني نائب قائد فوج. وبعد أسبوع أصيب قائد الفوج، وهو مناضل قديم كان يعرف بـ : "تخلى فرنسا" من فرط ترديده لهذه العبارة، إصابة بالغة في عينه جراء اصطدامه، أثناء السير ليلا، بغصن شجرة. وبسبب ذلك وكذلك تقدم "تخلى فرنسا" في السن أعفاه العيساني، بطلب منه، من قيادة الفوج وعينني بدله.

كانت مجموعتنا متكونة من فوجين، فوج يقوده العيساني نفسه، والفوج الآخر كنت أنا مسؤولا عنه. وكان العيساني هو مسؤول المجموع وأنا نائبه. كنا ننسق فيما بيننا، ونقوم في بعض الأحيان بعمليات مشتركة. وكان الاتصال بالمجموعات الأخرى منعدما. واكتفينا في البداية بشرح أهداف الثورة لسكان الأرياف، رغم ما كنا نعانيه من ضعف في تجربة التنظيم الثوري وما تفتقده من خبرة في مجال التوعية والتجنيد. كان هدفنا هو إقناعهم أننا مجاهدون نسعى إلى تحرير البلاد من الظلم الاستعماري، ولسنا قطاع طرق كما أشيع عنا...

وبسبب تفوق العدو علينا في العدة والعدد اعتمدنا أسلوب حرب العصابات. فكنا نباغت العدو ونربك قواته بهدف الحط من معنوياته عن طريق الكفاح المسلح. وكان التكتيك الذي اعتمده بوقلاز هو تشكيل أفواج صغيرة العدد سريعة الحركة تتجنب قدر الإمكان مواجهة العدو وتركز نشاطها أساسا على عنصر المفاجئة والكر والفر. لذلك كنا، في الغالب، نستهدف مواكب التموين العسكرية ونقطع خطوط المواصلات. وقد نجحنا مرة في تحييد رتل عسكري كبير بالقرب من بلدة " السبعة ".

كنا ننظم كمائن بين بلاندان والطارف والزيتونة وعين الكرمة، وخاصة في خنقة عرجون، بين بلاندان والطارف. وقد كبدنا العدو، في العديد من المرات، خسائر فادحة في الأرواح. فكان يضطر إلى جلب صهاريج مياه لغسل الدماء، ويلجأ من أجل تأمين الطريق إلى تجميع السكان الأوربيين ومرافقتهم عبر الطريقين تحت حماية المدرعات وفي أيام محددة فقط. هكذا نجحنا من الناحية السيولوجية، على الأقل، في إشعار العدو أنه لم يعد هو سيد الموقف"ص65-68.

✓ كيف أنقذ قبر جدي حياة والدي :

"والدي، أيضا، كان من أوائل من انضموا إلى المجاهدين رغم أنه جاوز الخمسين من العمر. وكان ينشط سياسيا مع المجموعات الأولى المتواجدة في القالة وبارال وبلاندان وموندوفي وموريس والسبعة، والتي كان يقودها مجاهدون اشتهروا فيما بعد في ولاية سوق أهراس والقاعدة الشرقية، من أمثال محمد الهادي عرعار وبشايرية علاوة وعمار بن عودة وعمارة بوقلاز والحاج خمار ورصاع مازوز والعيساني شويشي والعاتي بوثلجة أول شهيد في بلاندان أطلق اسمه على هذه البلدة بعد الاستقلال. وجدير بالذكر أن مجموعات أخرى كانت تنشط في قطاعات الونزة وبني صالح والمشروحة والنبايل، لكنها كانت معزولة عن بعضها البعض بسبب غياب التنسيق والقيادة الموحدة.

في النصف الأول من عام 1955 شرع الجيش الفرنسي في تنظيم عمليات تمشيط كبرى في سهل عنابة لإخماد الثورة ووأدها في المهد وتفكيك المجموعات الناشطة والحيلولة دون احتضان الشعب لها. وكان يستعمل في هذه العمليات مختلف أنواع الأسلحة، بما في ذلك الطيران والمدفعية. وكاد والدي أن يذهب ضحية إحدى تلك العمليات لو لا أنه تفطن إلى فكرة غريبة لا تخطر على بال.

فمن أغرب ما سمعت منه أنه كان مطلوبا، وكان الجيش الفرنسي يبحث عنه في كل مكان ووقعت وشاية به، ووجد نفسه محاصرا مع جنديين إثنين، فطلب منهما مغادرة المكان، أما هو فقد لجأ إلى مقبرة "السبعة" وفتح قبر والده، وملم رميم العظام في منديل توسده، ثم تمدد في القبر وغطى نفسه باللحود. وظل على حاله تلك غير بعيد عن قيادة العمليات قرب المقبرة، يستمع إلى حديث الجنود وقصف المدفعية وقنبلة الطائرات إلى ساعة متأخرة من الليل، ولم يخرج من المقبرة إلا بعد انسحاب الجيش الفرنسي من الصعب أن يتخيل المرء ذلك. هكذا أنقذ قبر جدي حياة والدي.

ذات يوم طارده القومية على أحصنتهم ونجح بأعجوبة في الإفلات بفرسه منهم. وفي طريقه صادف فلاحين يدرسون الشعير، فقام بربط فرسه مع أحصنتهم، واختبأ في كومة من الحصاد وحين وصل القومية سألوا الفلاحين عنه، فأجابوهم أنهم لم يشاهدوا أي شخص مر من هنا. وبعد أن غادر القومية خرج الوالد من الكومة يتفصد عرقا.

تناضل الوالد فترة طويلة في الناحية، وفي أواخر 1936 عيّنته محافظا سياسيا بقسم السبعة وأولاد دياب وبعد سنتين حين أدركت أن السن تقدمت به، أمرت فوجا من المجاهدين، بقيادة نائبي العسكري حداد عبد النور، أن يقطعوا به الحدود. وبقي هناك في تونس مع اللاجئين الجزائريين حتى استعادة الاستقلال. توفي رحمه الله سنة 1976."ص68-70".

✓ **بوقلاز يستعيد المبادرة:**

"في مثل هذه الظروف الصعبة التي كانت الثورة تمر بها برز عمار العسكري، المدعو، بوقلاز كسياسي محنك ومنظم بارع وقائد عسكري... ولد عمار العسكري بمرداس بالقرب من بن مهيدي وكان أبوه الطاهر يعمل في مجرى ماء اسمه بوقلاز، لذلك اشتهرت العائلة ببوقلاز، وهو نحت للكلمتين الفرنسيتينboue-الطين- glaise –الصلصال-. درس الطور الابتدائي ببوثلجة ثم انتقل إلىعنابة لمواصلة دراسته المتوسطة والثانوية، وانخرط بعد ذلك في الجيش الفرنسي وأصبح يعمل على متن الباخرة ريشليو Richelieu وقد سمحت له أسفاره ظهر هذه الباخرة بالتعرف على الأوضاع الكولونيالية المزرية في المستعمرات الفرنسية. بعد تسريحه من الجيش الفرنسي انضم إلى حزب الشعب، ثم حركة الانتصار الحريات الديمقراطية... وشرع بوقلاز بعد ذلك في تعيين قادة النواحي المتواجدة بالقالة وبلاندان والشط والشافية والزيتونة وبني صالح .

كان لا بد من وضع استراتيجية للحصول على أسلحة متطورة، فانتقل بوقلاز مع فوج من المجاهدين إلى تونس لتوفير السلاح والمال وخطط لإقامة سلسلة من المراكز لإخفاء السلاح وتخزينه تمتد من عين الدراهم إلى الحدود الليبية. وقد نجح بالفعل في إقامة تلك المراكز التي طوروناها بعد ذلك على طول الحدود في أماكن منيعة يصعب على الجيش الفرنسي تدميرها. واستطاع أن يشتري أسلحة من تونس...وشارك في الاجتماع التحضيري لهجوم 20 أوت 1955.كنت في ذلك الوقت رفقة الفوج الذي أقوده في عين الكرمة حي وصبتنا تعليمات بوقلاز لتنفيذه العمليات الهجومية في كل المنطقة الواقعة شمال خط السكة الحديدية الرابط بين الونزة وعنابة... ونجح في جبال بني صالح في إنشاء بطاقية Fichier حقيقية عن كل جنود وضباط سوق اهراس والقالة كانت تتضمن أسماء أفراد الجيش وسنوات الالتحاق وأسماء الشهداء،... وكان يشرف على هذه البطاقية صديق لي عمل

معي في شركة تاباكوب، هو بوعزة العياشي... وكانت فسرة عقد لقاء بين قادة الثورة مطروحة أنذاك، كما قيل، مصطفى بن بولعيد، لكن استشهاده حال دون ذلك... وقد اختيرت أنذاك قرية المشروحة بجبال بني صالح مقر قيادة عمار بوقلاز، لاحتضان المؤتمر لكونها منطقة آمنة... وكذا قربها من الحدود التونسية... وفضل مسؤولو الثورة بعد ذلك عقد المؤتمر في قرية إفري بالصومام.

في نهاية صيف 1955 وصلا أمر من عمار بوقلاز بالتوجه إلى منطقة الحناية، والبقاء قرب شاطيء صغير يقع بين رأس روزا بالقالة ومفرق واد يصب في البحر غير بعيد عن عنابة. وكانت مهمتنا انتظار رسو سفينة محملة بالسلاح... كان فوج العيساني وفوجي أنا يتناوبان في الحراسة ، انتظرنا طيلة عشرين يوما، وبدأ القلق ينتابنا وكان بوقلاز أعطانا كلمة سر، وهي عبارة عن ثلاث إشارات ضوئية. ذات ليلة شاهدنا في عرض البحر سفينة فأرسلنا باتجاهها ثلاث إشارات وردت السفينة بالمثل، فاعتقدنا أنها السفينة المنتظرة، لكن السفينة كانت في الحقيقة بارجة حربية فرنسية، وبعد لحظات أطلقت علينا نيران مدافعها فأصيبت بشظية في رجلي اليمنى. كان الجرح غائرا، ثم تقيح وانتفخ رجلي، لكن لحسن الحظ أن الشظية لم تصب العظم والأعصاب، نقلوني إلى تونس، حيث عالجني الدكتور يحي يعقوبي، أحد الأطباء الجزائريين العاملين في المستشفيات على الحدود الجزائرية التونسية. وبقيت في المستشفى شهرا كاملا ... وأصيبت بجرح ثان سنة 1958 في بوكوس"ص71-81.

✓ **اللقاء بعميروش:**

"حين كنت أتمثل للشفاء من الجرح الذي أصبت به في رجلي اليمنى التقيت عميروش في دكان أحمد القبائلي بسوق الأربعاء. كان قد دخل تونس في نوفمبر 1956 بعد إخفاقه في مهمة إصلاح الأوضاع المتردية غب الأوراس. وقد رسخ في ذاكرتي كما هو في صوره المعروفة: طويل القامة، ذا بنية قوية، ونظرة ثاقبة بقشابيته المزرقشة وشاشه. كان عميروش شديد الحرص على وحدة صفوف المجاهدين، وقد قام بعدة وساطات سواء في الولاية الأولى أو في تونس. وفي 1959 وفي طريقه إلى تونس لتوضيح الأوضاع مع الحكومة المؤقتة استشهد هو والعقيد الحواس في جبل ثامر في ظروف غامضة. وتشاء الأقدار أن أكون الإنسان، بعد أن أصبحت رئيسا، الذي اكتشف أن جثتي عميروش والحواس

موجودتين في قبو بالقيادة العامة للدرك الوطني. فأمرت، دون تردد، باستخراجهما من هناك وإعادة دفنهما في مربع الشهداء بالعالية". ص81-82.

✓ مؤتمر الصومام وإنشاء القاعدة الشرقية

"كانت الدعوة لعقد مؤتمر وطني يجمع قادة الانتفاضة المسلحة أكثر من ضرورة بعد مضي عامين تقريبا على اندلاع الثورة. فحتى منتصف 1956 كنا نفتقد إلى أرضية إيديولوجية وسياسة: إذا استثنينا نداء أول نوفمبر الذي هو، في حقيقة الأمر، مجرد إعلان مبادئ عامة، وليس برنامجا واضح الأهداف. كما كانت المناطق الخمس قبل ذلك الوقت في حاجة عاجلة وماسة إلى قيادة وطنية، تتخذ القرارات على المستوى المركزي، وتنسق الجهود المشتتة وتعمل وفق استراتيجية بعيدة المدى من شأنها وضع حد لحالة الفوضى والانقسام والسباق نحو الزعامة. لقد كانت كل منطقة تقود الحرب بوسائلها الخاصة، على ضعفها، وبالطريقة التي يراها قائدها مناسبة، وكان غياب التنسيق هو نقطة الضعف الكبيرة في بداية الكفاح المسلح، وكانت المناطق الأكثر عرضة إلى الانهيار هما منطقتا الأوراس وسوق أهراس تعذر على عمار بوقلاز الانتقال للقاء المسؤولين عن الثورة بسبب الأوضاع الخطيرة السائدة في منطقة سوق هراس... غير أننا فوجئنا بانعقاد المؤتمر في شهر أوت بالصومام، ولم تشارك في أشغاله الولاية الأولى بعد استشهاد قائدها مصطفى بن بوالعيد واغتيال شيهاني بشير. كما غاب عنها ممثلو الثورة في الخارج لأسباب غير معروفة. وأقصيت منطقة سوق اهراس ولم يطلع المؤتمرون على تقريرها الذي ربما أخفيا أو مزق. وأبقى المؤتمر على سوق اهراس تابعة للمنطقة الثانية التي أصبحت تسمى الولاية الثانية...

وفي الحقيقة لا أحد منا في منطقة سوق اهراس والقالة كان ينكر أهمية القرارات التي تمخض عنها مؤتمر الصومام. وحتى عمار بوقلاز، نفسه كان في اجتماعاته معنا يحتج على إقصاء منطقة سوق اهراس وتهميشها وعدم الاعتراف بها كولاية أكثر من احتجاجه على قرارات المؤتمر... مع نهاية 1956 أعيد تنظيم منطقة سوق اهراس والقالة إلى ثلاث مناطق، تنقسم بدورها إلى ثلاث نواح، وكل ناحية مقسمة إلى ثلاثة أقسام.

وتشكلت قيادة القاعدة الشرقية من مجلس يرأسه عمار بوقلاز ينوبه –محمد عواشرية –سليمان بلشاري.. وتم بعد ذلك تشكيل الفيلق الخامس والسادس وأنيطت بهما

حماية القوافل المتجهة إلى الداخل... وتشكلت تسع كتائب في القاعدة الشرقية... أنشأت قيادة القاعدة الشرقية محكمة عليا تنظر في القضايا الخطيرة التي تمس مصلحة الثورة كالخيانة وإفشاء السر العسكري والهروب من الخدمة والاعتداء على الشرف والشذوذ الجنسي..."ص 85-101.

✓ **هيئة أركان الشرق:**

"لم تعمّر القاعدة الشرقية، التي ولدت في الآلام والدموع طويلا، فبعد عامين من نشأتها العسيرة وئدت بطريقة عسيرة أيضا، مع نهاية سنة 1958. وأسدل الستار على مآثر وتضحيات قادتها وجنودها. وكان مصير بعض قادتها وجنودها. وكان مصير بعض قادتها مأساويا وترك آثارا لاتمحى في نفوس مجاهدي المنطقة وفي مسيرة الثورة ككّل. لكن الرهانات التي أحاطت بها منذ تأسيسها حولتها إلى مصدر لأطماع السياسيين وبعض المغامرين ودسائس الطامحين إلى الزعامة.

كانت السنة التي تفككت فيها القاعدة الشرقية مضطربة وخطيرة على أكثر من صعيد. فعلى مستوى قيادة لجنة التنسيق والتنفيذ تفاقمت الخلافات بين أعضاء، وانعكست سلبا في الميدان على القدرات القتالية للجيش. وطفت تلك الصراعات إلى السطح، ولم تعد سراً يخفى بعد مقتل عبان رمضان في نهاية 1957. في البداية صدقنا ما أعلنته جريدة "المجاهد" حول استشهاده في ميدان الشرف، لكننا بعد فترة قصيرة فوجئنا بالحقيقة المفجعة، وهي أن رفقاءه في السلاح استدرجوه إلى المغرب ليقتلوه. كانت الصدمة عنيفة في صفوف المجاهدين، وندّد بوقلاز رغم خلافه مع عبان رمضان، في رسالة شديدة اللهجة إلى لجنة التنسيق والتنفيذ، بهذا الاغتيال الجبان لأحد رموز الثورة ونظّم يوم حداد واحتجاج في القاعدة الشرقية.

في تلك الفترة كانت قيادة الجيش الفرنسي ماضية في تنفيذ مخططاتها الرامية إلى عزل جيش التحرير، وقطع الدعم عنه من الخارج. وشرعت في تطبيق خطتي وزير الدفاع أندري موريس والجنرال شال. أما على الصعيد السياسي فقد اتسمت سياسة الجمهورية الخامسة التي وصلت إلى الحكم بفضل المتطرفين وقسم هام من ضباط الجيش الفرنسي بالمزاوجة بين العمليات العسكرية والتنازلات الجزئية لصالح الجزائريين..."ص118-119.

✓ خطة شال:

"ويهمّنا هنا الحديث عن الهجوم العسكري الضخم الذي شرع الجنرال موريس شال في الإعداد له بعد أن عيّنه ديغول في 1958 قائدا لأركان الجيش. وكانت استراتيجية هذا الجنرال تسعى إلى تحقيق أهداف محددة، هي عزل الولايات الداخلية عن قواعد التموين والتسليح، أي بعبارة أدق فصلها عن القاعدة الشرقية، وعزل السكان عن المجاهدين عن طريق إنشاء محتشدات ومناطق عازلة، مثلما حدث بين شال وموريس، والتخطيط لعمليات واسعة النطاق، مثل عمليات الشرارة ETINCELLE في الهضاب العليا وجيمال JUMELLES في القبائل وعملية الأحجار الكريمة PIERRES PRECIEUSES في الشمال القسنطيني. ثم بعد ذلك الشروع في تشييد خط مكهرب يحمل اسمه، أصبحنا نسميه فيما بعد "خط الموت". وسخّرت فرنسا إمكانيات ضخمة لإنجاز هذا السد بوتائر سريعة. وكان الهدف من تشييده تدعيم خط موريس والتضييق على المجاهدين ومنعهم من دخول التراب الوطني وتزويد الداخل بالسلاح والذخيرة، وفي الوقت نفسه إنشاء منطقة عازلة أصبحت تدعى NO MAN S LAND.

في مثل هذه الأوضاع الصعبة بدأ التخطيط لتفكيك القاعدة الشرقية. وتمت الخطوة الأولى في النصف الأول من عام 1958 حين اتخذ كريم بلقاسم قرارا متسرعا بقضي بإنشاء لجنة العمليات العسكرية في الحدود الشرقية والغربية. كان الهدف المعلن هو تكليف هذه الهيئة بقيادة العمل المسلح في الداخل، لكنها كانت في الحقيقة بداية لتفكيك القاعدة الشرقية وتصفية مسؤوليها.

برزت الخلافات بين الباءات الثلاثة حتى في تشكيل الكوم COM. واضطر بوصوف وكريم بلقاسم وبن طوبال إلى الوصول إلى تسوية فيما بينهم من خلال مراعاة مبدأ التمثيل الجهوي ومبدأ تمثيل كل الولايات. وأصبح واضحا أن مبدأ القيادة الجماعية الذي استندت إليه الثورة منذ اندلاعها صار يتلوّن بحقائق الميدان ولعبة التوازنات.

في الحدود الغربية أنشئت لجنة العمليات العسكرية بقيادة هواري بومدين الذي فرضه بوصوف وعيّن العقيد الصادق نائبا له. وكانا يشرفان على الكفاح المسلح في الولايات الرابعة والخامسة. أما كوم الشرق فقد كان بؤرة حقيقية للخلافات والتناقضات المنذرة بانفجار في

أقرب الآجال. فلا شيئ كان يوحي بضمان أبسط شروط التنسيق والعمل الجماعي بين رئيسه محمدي السعيد –الولاية الثالثة– ومحمد العموري –الولاية الأولى– وعمار بن عودة –الولاية الثانية– وعمارة بوقلاز –القاعدة الشرقية– وكان الخلاف بين بوقلاز وبن عودة على أشّده وكان هذا الأخير ينسق مع بن طوبال لتحييد بوقلاز.

بعد ذهاب بوقلاز إلى الكوم أعيد النظر في قيادة القاعدة الشرقية، وعين الرائد محمد الطاهر عواشرية مسؤولا عنها، والرائد شويشي العيساني نائبا له وتولى مسؤولية المنطقة الأولى صهر بوقلاز رصاع مازوز، يساعده ثلاثة نواب برتبة ملازم أول هم الشاذلي بن جديد ويوسف بوبير وبلقاسم عمورة المعروف ببلضويوي. وأجريت تغييرات مماثلة في المنطقتين الثانية والثالثة اللتين بقيتا تحت مسؤولية عبد الرحمان بن سالم والطاهرالزبيري... نقاؤنا مع كريم بلقاسم ولخضر بن طوبال... خطة الرائد إيدير... العقيد سي ناصر..." ص120–143.

✓ **هيئة الأركان العامة ... عودة الأمل 1958–1959 :**

"كان النصف الثاني من عام 1959 من أحلك المراحل التي مرت بها الثورة. وكان عصيان جبل الشعامبي في الولاية الأولى، واستسلام علي حمبلي، وتمرد حمى لولو، قبل أن أقنعه "بالعودة إلى النظام". علامات على تفكك روابط القيادة بمسئولي الوحدات القتالية.

وكانت حالة الجمود والفوضى العارمة في صفوف الوحدات المقاتلة على الحدود الشرقية نتيجة منطقية وطبيعية للصراع داخل الحكومة المؤقتة التي فشلت بعد مضي ستة أشهر على تشكيلها في ضمان الحد الأدنى من الانسجام والتنسيق بين أعضائها، وخاصة القيادة الثلاثية. وكان بوصوف وكريم بلقاسم وبن طوبال يسعون، كل على طريقته، مع اقتراب تفاض مع فرنسا، إلى السيطرة على جيش الحدود والقاعدة الشرقية، وكان كل واحد منهم يعتبر أن من يتحكم في هذا الجيش يتحكم في المستقبل السياسي للبلاد. وكان طموح كريم عارما أعماه عن النظرة إلى حقائق الميدان نظرة متزنة. أما رئيس الحكومة المؤقتة، فرحات عباس، ورغم ماضيه الحافل وثقافته المشهود له بها وسمعته الدولية، فقد كان مغلوبا على أمره...".ص145–147.

✓ **اجتماع العقداء العشرة :**

"ومن أجل تجاوز حالة الفوضى والعصيان والانسداد السياسي في هرم القيادة، بعد محاولة الانقلاب التي قام بها العقداء، تمت الدعوة إلى عقد لقاء تحكيمي في تونس حضره إضافة إلى القيادة الثلاثية سبعة عقداء هم : هواري بومدين ومحمدي السعيد عن أركان الغرب والشرق، حاج لخضر من الولاية الأولى، علي كافي من الولاية الثانية، يزوران من الثالثة، دهيلس من الولاية الرابعة، لطفي من الولاية الخامسة. وهؤلاء العقداء العشرة كانوا كلهم آنذاك خارج التراب الوطني دون استثناء. وكانت الأسباب الرئيسية التي استدعت ذلك الاجتماع المارطوني تتخلص في رأيي في ثلاثة:

أولا: الصراع بين بعض ولايات الداخل والقاعدة الشرقية.

ثانيا: إعدام عقداء حادثة الكاف وما انجر عنه من آثار وخيمة في استعداد الوحدات للقتال.

ثالثا: تمرد وحدات القاعدة الشرقية والولاية الأولى".ص147-148.

✓ **بومدين في غار الدماء:**

"التحق هواري بومدين بغار ديماو في ظروف صعبة، لكن في وقت مناسب، كان لا بد من استدراك الوضع قبل انفلات الأمور. وكان بومدين هو الرجل الذي أهلته الأوضاع أو الأقدار ليقوم بهذه المهمة. لمن نكن نعرفه، لكننا كنا نسمع باسمه. وكان بالنسبة إلينا غريبا عن مشاكل الحدود الشرقية، وهو بالتأكيد، ما سمح له بالنظر إلى الأوضاع ومعالجتها باتزان وبرودة أعصاب. ولحسن الحظ، أننا كنا نجهل أنه هو من ترأس المحكمة التي حكمت بالإعدام على العقداء. فربما كنا سنتعرض على قيادته لهيئة الأركان.

ذهبنا نحن قادة المناطق الثلاث، أنا وعبد الرحمن بن سالم والزين التوبلي، إلى لقائه بغار ديماو بعد تنصيبه على رأس قيادة الأركان في النصف الأول من سنة 1960. لاحظنا الفرق الشاسع بينه وبين محمدي السعيد. استمع باهتمام إلى عروضنا عن الوضعية السائدة في القاعدة الشرقية. كان يصغي أكثر مما يتكلم. يستفسر أكثر مما يجيب، يستأنس بالرأي الآخر أكثر مما يأمر. اقتنعنا في الأخير أن الرجل مخلص ووطني حتى النخاع، ويملك نظرة بعيدة عن الأهداف والوسائل. واتفقنا أنا وعبد الرحمن بن سالم بعد العودة أن نمنح له فرصة تطبيق خطته للخروج من الأزمة...الخلاف مع الحكومة المؤقتة..." ص149-155

✓ **أول سجين في عهد الاستقلال**

"من هو أول سجين في عهد الاستقلال؟" فيستغربون سؤالي. إنه بكل بساطة الشاذلي بن جديد...".ص171-177.

✓ **مساره في الثورة باختصار:**

"لقد كان مساري العسكري كمجاهد، متدرجا وقبلا انقطاع، تبوأت خلاله المسؤوليات التالية :

- 1955 – مسؤول فوج.
- 1955 نهاية 1956 – مسؤول قسم.
- 1956 – مسؤول ناحية.
- 1958-1959– مسؤول منطقة، ثم عضو المنطقة الشمالية للعمليات إلى غاية الاستقلال".ص199

✓ **حركة جوان التصحيحية :**

"كانت حركة التصحيح الثوري، أو ما يسميه البعض انقلاب 19 جوان 1965 مبرمجة، بل ومعلنة قبل وقوعها بوقت طويل. فقد كان شائعا بين الناس أن شهر العسل آيل إلى نهايته المحتومة بين الرئيس أحمد بن بلة ووزير دفاعه هواري بومدين، إما بالإطاحة بالأول، وإما بإقالة الثاني وجماعته. ويقال إن بن بلة قدم، ذات يوم، وزير دفاعه لصحافي أجنبي بهذه العبارة: "هذا هو الرجل الذي يتآمر ضدي". وبدوره، أعترف لي هواري بومدين في أكتوبر 1963 أنه ضاق ذرعا بأحمد بن بلة، وبطريقة إدارته للشأن العام، وحدثني عن تردي العلاقة بينهما. "الأمور ما تعجبش" هكذا قال لي بومدين بنبرة الشخص الواثق من شكوكه.

وكان فتور العلاقة بينهما واضحا حتى في الصور التي كانت تذيعها وسائل الإعلام آنذاك. إذ كان كل واحد منهما يبدو متبرما من الآخر يتفادى لقاءه، وكأن بينهما عداوة مستحكمة. لقد جمعتهما ظروف الحرب والسياسة، وباعدت بينهما التطلعات والأماني.

ولعل من الخطأ الاعتقاد أن الخلاف بين الرجلين يعود إلى اختلاف في الطبائع أو تنافر في الأمزجة. فأسبابه تكمن أساسا إلى تضارب في الرؤى والتصورات حول القضايا

التي طرحت بعد الاستقلال وطرق حلها. لقد كانت الأزمة في البلاد عامة، ومست مظاهرها كل مناحي الحياة. وكانت الجزائر آنذاك تشبه بركانا خامدا ينذر بالانفجار في أية لحظة. فبالإضافة إلى الخراب الذي خلفه الاستعمار وإرثه السلبي وتفاقم المشاكل الاجتماعية (البطالة، الكساد الاقتصادي، جمود المؤسسات إلخ...) تميزت تلك الفترة بصراع شرس حول الخيارات السياسية الكبرى وحول اختيار الرجال، ترتب عن ذلك، كنتيجة طبيعية، سباق محموم إلى الزعامة والاستفراد بالحكم. وعادت إلى الواجهة من جديد المشاكل المؤجلة التي لم يحصل عليها إدماج منذ لقاء طرابلس.

ومما زاد الطين بلة تنحي أو تنحية شخصيات سياسية مشهود لها بالإخلاص والوفاء للوطن من مراكز اتخاذ القرار. ففي أبريل 1963 استقال الأمين العام للحزب محمد خيضر بسبب خلافه مع بن بلة حول طريقة تنظيم الحزب ودوره، ومع فترة قصيرة اتهم بوضياف بالتآمر على البلاد وتم اعتقاله؛ واستقال فرحات عباس احتجاجا على طريقة إعداد الدستور. وتحولت بلاد القبائل إلى بؤرة للتوتر كادت تؤدي إلى حرب أهلية. وكان بن بلة في كل ما حدث ويحدث يتنصل من مسؤوليته محملا بومدين، ومعه نحن العسكريين، مآسي حرب الحدود، وتوريط الجيش في بلاد القبائل.

في مثل هذا المناخ المتوتر كان الجميع يتوقع أن يتم الحسم في مؤتمر جبهة التحرير الوطني الذي عقد في 16 أفريل 1964. وكان هذا المؤتمر الذي اختلف على تسميته — هل هو الأول أم الثالث؟ فصلا آخر من فصول الصراع الخفي بين أحمد بن بلة وهواري بومدين. وكانت كل المؤشرات تدل على أن الرئيس يسعى جاهدا إلى بسط هيمنته المطلقة على كل دواليب الحكم. فقد كان واضحا من خلال الحملة الدعائية التي سبقت بشهور انعقاد المؤتمر وتشكيلة اللجنة التحضيرية التي سيطرت عليها العناصر اليسارية والعلمانية وحاشية الرئيس أن هذا الأخير يبحث بأي ثمن عن غطاء إيديولوجي لتبرير السياسة التي كان ينتهجها آنذاك. وكان هذا الغطاء هو برنامج إيديولوجي وسياسي جديد أراده بن بلة مكملا لبرنامج لقاء طرابلس الذي لم ترفع جلسته؛ وكان العديد من الشخصيات لا يعترفون بقراراته.

وكنا في الجيش، أو على الأول من كان منا مقربا من بومدين، نعتبر هذه السياسة مغامرة غير محمودة العواقب سمتها نزعة إرادوية وطابعها خطاب ديماغوجي شعبوي، أما

في الواقع العملي، فقد تحولت البلاد إلى حقل تجارب لا يصح نعتها إلا بالخيار الغريب عن الواقع الجزائري. فسواء في مفردات خطبه أو في سياسته كممارسة عملية كان بن بلة يوظف " خليطا " غريبا من اشتراكيات استلهمها من تجارب يوغسلافية وصينية وكوبية وسوفييتية، مضيفا عليها مسحة إسلامية لتصبح قابلة للتصديق. لقد كان من المحزن أن نرى وتيرة التأميمات، مثلا، تتسارع بشكل مثير للدهشة لتشمل حتى الحرفيين والتجار الصغار والحمامات وقاعات السينما والمقاهي.

ولهذا السبب، وقف أغلب الضباط صفا واحدا داعما لموقف هواري بومدين الذي رفض في أول الأمر المشاركة في أشغال المؤتمر معتبرا أن مهمة الجيش هي الدفاع عن الخيارات الشعبية وحماية وحدة التراب الوطني وسلامته، وليس العضوية في مكتب سياسي أو لجنة مركزية، كما كان معمولا به في الدول الاشتراكية. لكن بومدين غير موقفه في آخر لحظة لأسباب تكتيكية. هكذا شاركنا في الأخير في أشغال المؤتمر خوفا من أن يتمكن بن بلة من استغلال عواطف مناضلي الحزب وحماسهم لعزل قادة الجيش وحرمانهم من إبداء رأيهم في قرارات من شأنها أن ترهن مستقبل البلاد. واتفقنا مع بومدين على رفض عضوية قادة الجيش في اللجنة المركزية. وبرر بومدين هذا الموقف بخشيته أن تتخذ قرارات في غير صالح الشعب بتزكية من الجيش.

منذ اليوم الأول اندهشنا من عنف الهجمات على الجيش من قبل بعض المؤتمرين. وخاصة مسؤولي الفيدراليات الذين كانوا يطالبون بتطهير الإدارة والجيش. وبدأ الأمر وكأنه خطة معدة سلفا يقف وراءها قائد جوق يتحكم في خيوطها من وراء الستار. كان هؤلاء المسؤولون يشتكون من تدخل قادة النواحي العسكرية في شؤونهم، مطالبين بأولية النضال الحزبي على الأوامر العسكرية وإشراف المكتب السياسي للحزب على التوعية السياسية داخل وحدات الجيش.

لم يطلب بومدين الكلمة أثناء الأشغال، وظل صامتا يتابع باهتمام وتوتر في آن واحد انتقادات القاعة. ولما بدأ الحاضرون يهتفون مطالبين بتطهير الجيش من الضباط الفارين من الجيش الفرنسي، وكان شعباني من أشد المتحمسين لهذا المطلب، فهم بومدين أنه مقصود بذلك. وكانت تلك هي القطرة التي أفاضت الكأس. طلب بومدين الكلمة وصعد إلى المنصة

وبنبرة الإنسان الواثق في نفسه رد في خطاب عنيف دام إلى ساعة متأخرة من الليل على انتقادات القاعة بالقول: "من الطاهر بن الطاهر الذي يريد أن يطهر الجيش" ؟

ساد صمت ثقيل في القاعة. وأضاف بومدين أن طرد الضباط الفارين من الجيش الفرنسي مطلب غير واقعي، لأن هؤلاء خدموا الثورة رغم التحاقهم المتأخر بها، وأن الجيش استفاد أثناء حرب التحرير ويستفيد الآن من تجربتهم التقنية. قال : " وهم جزائريون مثلكم". ثم طرح تساؤلا تعجيزيا: "هل نلجأ إلى الأجانب لتدريب وتأطير جيشنا". وختم بالقول: "إن المؤتمر سيد وإذا طلب مني أن أطرد هؤلاء الضباط سأمتثل لأمره". وكانت الاستراتيجية التي تبناها بن بلة تتمثل في السعي إلى فرض رقابة حزبية على الجيش، ولأنه كان يعرف أنه سينتخب أمينا عاما للحزب، فمعنى ذلك بسط رقابته الشخصية على الجيش. ولذلك كان رده : بومدين سيكون كل شيء مع الحزب، ولا شيء من دون الحزب".

في نهاية الأشغال تم إقرار مبدأ الحزب الواحد على أن يكون هذا الحزب طلائعيا. على أن المصادقة على وثيقة ميثاق الجزائر بسرعة أعطت الانطباع وكأن الخيارات الإيديولوجية لا أهمية لها، وأن الرهانات كانت منصبة كلها على اقتسام المناصب ومراكز النفوذ. واعتقد بن بلة، واهما، بعد المؤتمر أن كفة ميزان القوى مالت لصالحه. فقد نجح في فرض رجاله على مستوى الهياكل المركزية والقاعدية للحزب، وتولى بنفسه الأمانة العامة وترأس الحكومة. وبدأ يؤسس بشكل مرتجل للحكم، الفردي، متجاهلا تحذيرات حتى أقرب الناس إليه.

وبالموازاة مع ذلك شرع في إبعاد القيادة العسكرية عن مراكز اتخاذ القرار، وكان يسعى إلى التخلص من الرجل القوي هواري بومدين. كان هدفه غير المعلن هو بسط يده على دواليب الدولة وجهاز الحزب والمؤسسة العسكرية...تمرد شعباني..."ص201-213.

✓ في الناحية العسكرية الثانية 1964-1979

"لم تدم قيادي للناحية العسكرية الخامسة طويلا، فبعد تنحية العربي برحم وإجهاض تمرد شعباني عينني العقيد هواري بومدين، في أواخر سنة 1964، قائدا للناحية العسكرية الثانية خلفا لعبد الحميد لطرش، وخلفني في الخامسة عبد الله بلهوشات. كانت مهمتي في الناحية محددة بدقة، وهي إعادة تنظيم وحدات الجيش وفق مخطط عضوي

جديد مع الأخذ بعين الاعتبار لدروس"حرب الرمال". كان أول إجراء اتخذته هو إخراج مقر قيادة الناحية من قصر الباي. فلم يكن معقولا من الناحية الأمنية الإبقاء على مقر القيادة في وسط المدينة بالنظر لما يمثله ذلك من خطر حقيق على المدنيين في حال نشوب حرب، واستحالة الحفاظ على السر العسكري في حال إعلان استنفار للوحدات.

لم تكن مهمة إعادة تنظيم الناحية سهلة على الإطلاق. فقد وجدت أغلب الضباط والجنود منشغلين أعمال إدارية صرفة، والناحية تفتقد إلى فيالق منظمة وإلى برنامج دقيق للتدريب والتكوين، لذلك وضعت خطة مستعجلة لإعادة تنظيم الناحية من جديد. وأوليت عناية خاصة إلى مسألة إنشاء فيالق جيدة التدريب خفيفة وقادرة على التدخل بسرعة في أي مكان. ونجحت في أجل قياسي في تشكيل ثلاثة فيالق. وقد ساعدتني في ذلك تجربتي السابقة في القاعدة الشرقية والناحية الخامسة.

في سنة 1969 رقيت إلى رتبة عقيد، وهي الرتبة التي خرجت بها من صفوف الجيش. وحين قمت في سنة 1984 بإعادة تنظيم الجيش، هذه الرتبة أو أعلى منها، بصفتي وزيرا للدفاع وقائدا عاما للقوات المسلحة، فاعتذرت بالقول:" لا أريد أن أدعى " الجنرال الرئيس"".

كللت جهود تنظيم الجيش في الناحية الغربية بإنشاء الوحدات الكبرى في نهاية 1970، ومنها اللواء الثامن الدرع برأس الماء بسيدي بلعباس، الذي أشرفت مع فريق من التقنيين من وزارة الدفاع على إعداد مشروعه وتجسيده ميدانيا. وهذا اللواء يمثل أكبر التشكيلات الدائمة للجيش الجزائري. ويتشكل من فيالق للمدرعات، وأخرى للمشاة الميكانيكية مدعومة بوحدات للمدفعية والهندسة العسكرية والدفاع الجوي والاستطلاع والإسناد. وقد شارك في حرب أكتوبر 1973 إلى جانب الجيوش العربية الأخرى. وما زال إلى اليوم مفخرة الجيش الجزائري وقوته الضاربة... محاولة انقلاب الطاهر الزبيري...انتحار السعيد عبيد...استعادة مرسي الكبير...الخلاف مع قايد أحمد...".ص223-241.

✓ **بومدين يقترح عليه وزارة الداخلية :**

"في أواخر 1974 بلغ الخلاف بين الرئيس هواري بومدين ووزير الداخلية أحمد مدغري ذروته. كان أحمد مدغري أحد الوجوه المتنفذة في جماعة "وجدة". بالرغم من

تواضعه وانطوائه، إلا أنه عرف بحرصه على التطبيق الصارم للأوامر. كان من أنصار بناء دولة عصرية قوية. وعمل من أجل تحقيق ذلك بتفان وإخلاص. ونجح منذ تعيينه على رأس وزارة الداخلية في إعادة هيكلة الإدارة الجزائرية وإرساء دعائم مؤسسات الدولة.

كان أحمد مدغري يعتبر نفسه أب الإدارة الجزائرية، ووجد في بعض وجوه جماعة "وجدة" من يشجعه على هذا الاعتقاد. ويسعى جاهدا إلى بسط نفذه المطلق على دواليب هذه الإدارة. وربما أن الخلافات التي ظهرت بينه وبين هواري بومدين تعود إلى هذا السبب، إضافة إلى أن مدغري لم يكن يشاطر الرئيس رؤيته حول تطبيق الثورة الزراعية، وفي تدخل الحزب في الإدارة. وكنا نلمس ذلك في اجتماعات مجلس الثورة، وكان مدغري يلوح دائما بتقديم استقالته...بعد رفضي لاقتراح الرئيس عين هواري بومدين محمد بن أحمد عبد الغاني وزيرا للداخلية" ص241-243.

✓ **من أين لك هذا؟**

"كانت آخر زيارة للرئيس هواري بومدين إلى وهران في فيفري 1978. فقد حل بوهران على رأس وفد كبير لتدشين انجازات هامة في ميدان البترول والغاز. فدشن مركب الغاز الطبيعي المميع GNL1 في أرزيو، والشطر الأول من الميناء البترولي أرزيو الجديد، ومركب الميتانول والمشتقات الأخرى. كما وضع حجر الأساس للمصنع الجديد لتمييع الغاز GNL2 في بطيوة. وفي اليوم الموالي دشن سد السعادة بغليزان. في مساء اليوم الأول تناولنا العشاء معه في مستغانم، أنا والدكتور أحمد طالب الإبراهيمي. لم يطل بومدين البقاء معنا، وانصرف للنوم، مدعيا التعب. لكنني لاحظت على وجه نفس التكشيرة ونفس تقطيب الوجه التي سبق لي وأن لاحظتهما خلال زيارته الخاصة لي بوهران. ولم يخطر ببالي أنها أعراض المرض، الذي سيخطفه بعد أشهر، بدأت تنهش جسده. بعد انصرافه تحدثنا، أنا وطالب عن مؤتمر الحزب التي كان التحضير له يشغل بال الرئيس، والذي كان من المفروض أن يصحح مسار التجربة من خلال بناء حزب جماهيري قوي وقادر على تجنيد الجماهير حول الخيارات الكبرى للبلاد ونظرا إلى ثقتي الكبيرة بالدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، طلبت منه أن يطرح قضية المسؤولين الذين يستغلون نفوذهم ومناصبهم في أجهزة الدولة من أجل اكتناز ثروات فاحشة. وقلت له: "نحن نعول عليك، يجب أن يكون

شعار المرحلة القادمة "من أين لك هذا؟". وكنت أكرر على مسامعه: " أن الشعار الذي رفعناه" الرجل المناسب في المكان المناسب" لم يطبق دائما بالشكل المناسب. وكان بومدين في خطاب شهير قد خير هؤلاء بين الثورة والثروة. ومما قاله : "لا يمكن، من الآن فصاعدا، أن نمسك العصا من الوسط".

وعندما كان بومدين يزورني للراحة في وهران، كنت أتحدث معه عن ضرورة إحداث إصلاحات في هياكل الدولة وتغيير الرجال. ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي أثير معه هذه القضية. فقد ألححت عليه مرارا على ضرورة الإسراع في التحضير لمؤتمر الحزب. ومما قلته له " إذا لم نقم بذلك فأنا سأطلب التقاعد". وبالفعل، فكرت مليا في ذلك، وشرعت في البحث عن بيت في العاصمة لأقضي به ما تبقى لي من عمر".ص244-245.

✓ **العلاقة مع المغرب قبل 1979**

قدت الناحية العسكرية الثانية مدة 15 سنة دون انقطاع...كنت في زيارة رسمية إلى الصين حين بلغنا خبر توغل الجيش المغربي يوم 15 أكتوبر 1963 في حاسي بيضاء وإقامته لمعسكرات هناك... بعد عودتنا إلى الجزائر وجدنا ما عرف" بحرب الرمال" قد انته، وأن الجيش المغربي انسحب بعد تجند الشعب الجزائري... وأريد هنا أن أفتح قوسا لأحيي حكمة محند أولحاج الذي وضع في الوقت المناسب حدا لتمرده في القبائل وانضم إلى القوات الحكومية لصد العدوان في ذلك الزرف العصيب. وانحني أيضا أمام الشجاعة السياسية للزعيم المهدي بن بركة ...ومعتبرا الاعتداء المغربي خيانة

لنضال الشعوب المغاربية من أجل الوحدة. لقد كلفه هذا الموقف ثمنا غاليا حيث حكم عليه بالإعدام غيابيا ليغتال في أكتوبر 1965..."ص247-263.

ذكريات عن رحلاته:

✓ **زيارته للصين**

"أسعفتني الظروف بزيارة بعض البلدان تحضرني اليوم ذكرياتها. وكان لي خلالها حظّ اكتشاف تجارب شعوب أخرى، استفدت منها كثيرا في مسيرتي كقائد عسكري وسياسي. ويتعلق الأمر بالصين ومصر والمغرب وكوبا والاتحاد السوفييتي وتشيكوسلوفاكيا وأوغاندا. وقد

زرت هذه البلدان إما ممثلا شخصيا للرئيس هواري بومدين، أو ممثلا لمجلس الثورة. وكان أكثر ما رسخ في ذاكرتي لقائي بالزعيم الصيني ماو تسي تونغ والرئيس المصري جمال عبد الناصر.

✓ **"إنكم شعب عظيم وبلدكم جميل"**

كانت أوّل رحلة قمت بها خارج الوطن بعد الاستقلال إلى الصين البعيدة. وكان ذلك في أكتوبر 1963. واليوم لا أتمالك نفسي في استرجاع ذكريات تلك الزيارة. استدعاني هواري بومدين إلى وزارة الدفاع الوطني، وكلّفني بترأس وفد عسكري هام يضم قادة أركان النواحي العسكرية لمشاركة الشعب الصيني احتفاله بالذكرى التاسعة والعشرين للمسيرة الكبرى. وكان هناك وفد مدني آخر قاده إلى بكين وزير الدولة عمار أوزقان. أعترف أنّي كنت مسرورا ومرتبكا في آن واحد. مسرور لأن الفرصة أتيحت لي لزيارة بلد صديق قدّم للجزائر خلال الكفاح المسلح دعما لا بقدر بثمن على الصعيدين السياسي والعسكري. ومرتبك لأننا، أنا والوفد المرافق لي، مجاهدون لم يسبق لنا السفر إلى الخارج، نجهل أصول البروتوكول، ولم نشارك من قبل في مفاوضات.

كان الصينيون يريدون مساعدتنا في المجال العسكري، وفي الوقت نفسه فكّ العزلة المضروبة عليهم، ومد نفوذهم إلى البلدان حديثة العهد بالاستقلال.

سألت هواري بومدين: "لماذا لا تذهب أنت شخصيا، خصوصا وأن الدعوة وجهت إليك بصفتك وزيرا للدفاع"؟ فأجابني بنبرة الشخص المتأكد من شكوكه:" اللعب راه بعشانا". فهمت أنه يقصد بن بلة، فم أضاف : "الأمور ما تعجبش".

في تلك اللحظة أدركت أن بومدين كان يخشى أن يسافر إلى الصين، وحين يعود يجد بن بلة قد أقاله من منصب نائب رئيس مجلس الحكومة ووزارة الدفاع.

سافرنا إلى الصين، وظلت عبارات بومدين تراود ذهني طيلة الرحلة. وبسبب انعدام خط جوي مباشر مع بكين آنذاك، اضطررنا إلى السفر إلى هونغ كونغ عبر باريس. وبعد أن حطت بنا الطائرة في مطار أورلي- الجنوبي، وقعت مشكلة كادت تؤدي إلى حادث دبلوماسي بين الجزائر وفرنسا. فمجرد وصولنا أخذوا منا جوازات السفر، ولم يعيدوها إلينا. وظلت الطائرة رابضة في المطار مدة طويلة. وبعد احتجاجي، بصفتي رئيسا للوفد، اتضح أن أمن المطار اكتشف اسمي في قائمة المحكوم عليهم بالإعدام الممنوعين من

دخول التراب الفرنسي. هكذا لم تجد السلطات الفرنسية بطاقيتها رغم مضي أكثر من عام على استقلال الجزائر. بعد طول انتظارنا رئيس مكتب وكالة الأنباء الصينية. لم نكن نحسن سوى الفرنسية، في حين أن لغة التعامل في هونغ كونغ هي الانجليزية. ولم نتمكن من التواصل من مسؤولي المطار إلى أن أنقذتنا مترجمة كمبودية. وبعد أن عرفوا أننا جزائريون بدأوا يحدثوننا عن الثورة الجزائرية التي كانوا يتابعون أخبارها، وعن سمعة الجزائر الدولية. ولم يطلبوا منا حتى بطاقات التلقيح.

كان الرسميون الصينيون ينتظروننا على الحدود، لأن العلاقة بين هونغ كونغ والصين كانت مقطوعة. ركبنا قطارا خاصا مزينا بالإعلام باتجاه بكين، ثم زرنا بعد ذلك أغلب المقاطعات الصينية، وكأننا نعيد نفس مسار المسيرة الكبرى، كانت الرحلة متعبة، ودامت أكثر من أسبوع إلى درجة أننا طلبنا منهم الدخول إلى الجزائر، وحاولنا أن نفهمهم أن الوضعية على حدودنا الغربية تتطلب منا التواجد في أرض الوطن. لكنهم أصروا على إتمام الزيارة. في مقاطعة نانجينغ أهداني الجنرال القائد الأعلى كسيو شيو XU SHIYOU سيفا من سيوف الساموراي غنمه في الحرب بين الصين واليابان (1937–1945). قمنا، أيضا، بزيارة أورومتشي، عاصمة كسينجيانغ، ذات الأغلبية المسلمة. وأعجبنا بالمعمار المتميز لمساجد جماعة الويغور الناطقة باللغة التركية. وقد اكتشفنا، مندهشين، أنهم يعرفون الجزائر، وكانوا يتابعون باهتمام أحداث ثورتنا.

كان وزير الدفاع الصيني الماريشال لين بياو، أونابوليون الصين كما كانوا يسمونه، غاضبا بسبب عدم تلبية بومدين لدعوته. حاولنا أن نقنع الصينيين بالظروف التي حالت دون تلبية الدعوة . من دون أن نشرح لهم التفاصيل، لكن بلا جدوى. لم يستقبلنا لين بياو وعين جنرالا، هو مدير ديوانه، لمرافقتنا. ومع ذلك لم تخل الرحلة من مواقف طريفة، منها أن بعض المرافقين لي، من العسكريين الجزائريين، كانوا طول الوقت مندهشين من طريقة التحية الصينية والابتسامة الدائمة على شفاههم. قبل عودتنا إلى أرض الوطن، عبر بيرمانيا ثم القاهرة، أقام الزعيم الصيني ماوتسي تونغ، وكان مرفوقا بشونلاي وأعضاء المكتب السياسي، حفلا بهيجا على شرفنا واستقبلنا بحفاوة بالغة، وأذكر مما قاله لي عبارة ظلت راسخة في ذهني إلى اليوم:" إنكم شعب عظيم، وبلدكم بلد جميل". ص265–268.

✓ **زيارته لمصر وغزة**

"في 1966 رافقت الرئيس هواري بومدين ضمن وفد سياسي وعسكري هام في أول زيارة رسمية له إلى مصر.وقد أولى بومدين لهذه الزيارة أهمية كبيرة. وكان يسعى إلى إعادة بعث الدفء إلى العلاقة بين البلدين بعد فترة الجمود التي طبعتا إثر حركة جوان 1965... قلت لبومدين: (باسم ماذا يتدخل المصريون في شؤوننا الداخلية؟) أجابني:(باسم العروبة)، قلت له: (إذا كانت العروبة تعني التدخل في شؤوننا الداخلية، فنحن لسنا عربا. والعروبة بطلنا منها). في القاهرة زار أحمد الشقيري، ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في جامعة الدول العربية، الرئيس هواري بومدين، وطلب منه السماح للوفد العسكري الجزائري بزيارة غزة. وكان الشقيري يريد من خلال هذه الزيارة رفع معنويات المقاتلين الفلسطينيين من خلال لقائهم بالمجاهدين. فقد كانت الثورة الجزائرية آنذاك هي القدوة والنموذج بالنسبة إلى الشعب الفلسطيني...". ص268-272.

✓ **لقاؤه مع الجنرال جياب**

"من أجمل الذكريات التي ما زلا احتفظ بها إلى اليوم لقائي بالجنرال جياب. فأثناء الزيارة الأولى التي قام بها إلى الجزائر زارني بوهران في 8 ماي 1976.مرفوقا بعبد الله بلهوشات كان اللقاء حميما في آن واحد. وشعرت بنفس الشهور الذي انتابني حين التقيت بتشي غيفارا في قسنطينة شعور يصعب تفسيره. هو مزيج من الإعجاب والاحترام أمام بساطة الثوار. ربما يعود ذلك إلى أننا حاربنا نفس الاستعمار. هو في ديان بيان فو، وأنا في الجزائر...أليس هو القائل في قاعة حرشة(الاميريالية تلميذ غبي؟) ...في نهاية الزيارة أهدى لي علم الفيتنام، وأهديت له مسدسي الذي لزمني طيلة حرب التحرير.وزار جياب الجزائر ثانية، واستقبلته كرئيس للجمهورية لم يتغير بخفة روحه وابتسامته المنشرحة..." ص243-244.

✓ **مع زعماء الثورة الكوبية**

"اكتشفت كوبا وزعماء ثورتها سنة 1968 عندما مثلت الجزائر في احتفالات الكوبيين بذكرى الهجوم على ثكنة مونكاد. ودامت إقامتي بها عشرة أيام .كانت العلاقات بين البلدين آنذاك فاترة يشوبها حذر متبادل بعد الموقف الذي اتخذه فيدال كاسترو من حركة 19 جوان في خطاب ألقاه في الإذاعة الكوبية تم على إثره استدعاء سفيري البلدين وغلق مكتب وكالة بريتسالاتينا. كانت زيارتي إلى كوبا فرصة لتصحيح موقف الكوبيين منا

فقد كان كاسترو ورفقاؤه يجهلون حقائق التجربة الجزائرية بعد الاستقلال... كان لابد من تجاوز سوء الفهم بين بلدين رائدين في حركة التحرر الوطني. وكانت مهمتي سياسية بالدرجة الأولى تتمثل في إعادة الدفء إلى العلاقة بين البلدين ووضعها في مسارها الطبيعي...كانت هذه الزيارة فاتحة عهد جديد في العلاقة بين البلدين، ومهدت لدعوة فيدال كاسترو إلى الجزائر، التي زارها رسميا في شهر مارس 1972" ص 273-275 .

✓ **زيارته إلى موسكو**

"في 1972 عينني الرئيس هواري بومدين لتمثيله شخصيا وتمثيل مجلس الثورة في احتفالات الاتحاد السوفيتي بالذكرى الخمسين لإنشاء الاتحاد السوفييت في ديسمبر 1922...امضينا الليلة الأولى في فندق "سوفييتسكايا" الفخم إلى جانب الوفود الأجنبية الأخرى .في صبيحة اليوم الموالي حضرنا افتتاح الاحتفالات في قصر الكرملين. وترأس الجلسة رئيس مجلس السوفيات الأعلى بودغورني الذي أحال بعد خطاب قصير الكلمة إلى الأمين العام للحزب الشيوعي السوفييتي ليونيد بريجنيف الذي ألقى بدوره خطابا لم أسمع أطول منه في حياتي (أربع ساعات ونصف). شدّد على ضرورة تطوير العلاقات مع الجزائر وسوريا...في موسكو التقيت الطلبة الجزائريين، مدنيين وعسكريين، وطرحت أثناء اللقاء مسألة فتح مركز ثقافي جزائري بالعاصمة السوفييتية من أجل الحفاظ على صلتهم بالجزائر وثقافتها...وبصفة عامة اقتنعنا أن السوفييت يولون الجزائر اهتماما خاصا. ويتمنون أن يتطور التعاون بين البلدين على جميع الاصعدة. وأنّهم مقتنعون أن الجزائر يمكنها أن تلعب دورا هاما هي الوطن العربي والقارة الافريقية". ص276-279.

✓ **القمة الافريقية بكامبالا**

"في جويلية 1975 رافقت الرئيس الراحل هواري بومدين إلى مؤتمر القمة الإفريقية بكمبالا...وقد بذل الرئيس هواري بومدين في القمة جهودا كبيرة ..." ص279-280.

نأمل في الأخير أن يرى الجزء الثاني النور في المكتبات، لتستفيد منه الأجيال ومن مذكرات الرجال المخلصين، وأن يحذوا الأخرون في تدوين مذكراتهم بموضوعية وتجرد، ويصبح هذا العمل سلوكا وثقافة عند الجزائريين، وذلك حفاظا على الذاكرة التاريخية، والوقوف على سيرهم وتضحياتهم وانجازاتهم، وعبرة ودرسا للجميع.

الشاذلي بن جديد كما أحسه

أ.د/ عبد الله عيسى لحيلح

جامعة جيجل

الشاذلي بن جديد – رحمه الله – اسم يعني في المخيال الشعبي شيئا استثنائيا، ويعني في الذاكرة الشعبية حالة متميزة.. لا يستطيع الواحد منا أن يكتب عنه بتعقيد لأنه كان شعبيا بسيطا، ولا يستطيع الواحد منا أن يتكلف لغة ما في الحديث عنه ، لأن تلك اللغة تخل بأناقته ولا تكون على مقياس الحميمية البالغة التي كان يدير بها شؤون البلد بذهنية من يحبو و يأبو، ويعطف، وأحيانا يقسو راحما، ويالها من قسوة كنا نقابلها بشيء من دلال!.. كان صدره عريضا فتعلمنا فيه الرماية..إذ كل من صوب أصاب...، وكان جيبه مليئا وكبيرا، فدسسنا أيدينا وأخذنا ما لذ وطاب... وكان عرضه طاهرا ونقيا لا تعكره الدلاء، فحاولنا جميعا أن نسيء إليه ببعض المشاغبات..كان ذلك عندما كنا في السنة الأولى سياسة... أتذكرون عندما كنا في السنة الأولى سياسة؟..!. وكان طويلا فطاولناه، لنرى كيف تنعكس ظلال قاماتنا في ضوء الشمس، التي كان له الفضل في أن فتح عليها نوافذنا والأبواب.

قرأت مذكراته، فانتابني شعور غريب، لما وجدته كأنه يحكي عني...أو كأنه يحكي عنك... أو كأنه يحكي عن آخر سينضم إلينا بعد حين!..لقد كان في مذكراته جزائريا صميما، ذلك الجزائري القديم /المتمرد ، الوجودي /الصوفي: المقبل على الدنيا كأن الآخرة شيء لا يعنيه، المقبل على الآخرة، كأن الله لم يعد ولم يتوعد أحدا سواه...، قرأت مذكراته، فوجدت ذلك الجزائري الذي لا يدعي..الذي يقتصد في العواطف والانفعال... فيقول المعنى بنصف مبناه أو أقل قليلا!!

الشاذلي بن جديد لا يستطيع الواحد منا أن يكتب عنه إلا بلغة فيها قدر وافر من الحميمية والتلقائية البسيطة، عليها شوب من خجل، لما يتذكر أنه صبر على حماقات كثيرة ما كان لها أن تكون، لولا شوق الشعب إلى الحرية في القول والفعل والشعور، وكان هو يقابل كل ذلك بصبر الحكيم وحلم الصبور، ولسان حاله يردد:

قل ما بدا لك من صدق ومن كذب حلمي أصم وأذني غير صماء!

الشاذلي بن جديد .. قال عنه الشيخ "محمد الغزالي" – رحمه الله – ذات مرة: " إنه رجل صافي السريرة طاهر الذيل".. لم نفهم حينها قول ذلك الشيخ الجليل إلا بعدما خبرنا كثيرا من أصحاب السرائر الملوثة العكرة، والذين لا تنجذب إلى أذيالهم إلا المناكر والمخازي كما تنجذب برادات الحديد إلى المغناطيس!..، رجل أدرك خيرها ولم يدرك شرها، كان في الفتنة كابن لبون.. لم يكن صالحا للحلب، ولا للركوب كان صالحا ..أغمد لسانه، وقبل ذلك أغمد سيفه، بعد أن رفض أن يشهره في وجه أي جزائري وآثر الانسحاب إلى ركن قصي من الحزن متفكرا متدبرا، وكأن الشاعر كان يعنيه حين قال:

بصير بأعقاب الأمور كأنما يخاطبه من كل أمر عواقبه!

ويكفيه بعد ذلك، أن كل الذين اختلفوا عليه وخالفوه واختلفوا فيه، قد عادوا ووافقوه واتفقوا عنيه، وكل الذين كرهوه لأجل معدود، قد عادوا وأحبوه لأجل غير محدود، وكل الذين قاوموه قد صار عندهم رمزا للمحبة وشارة للسلام، ولسان حالهم يردد في نبرة آسفة:

رب يوم بكيت منه فلما صرت في غيره بكيت عليه!

أما هو، فأحسبه كان يردد في غير شماتة وفي غير غرور:

سيذكرني قومي إذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر!

أجل!... كانت الليلة الظلماء... وكانت العشرية السوداء، وأكلنا جميعا من الشجرة الملعونة، وتعرت سوءاتنا جميعا، ولم نخصف عليها لحد الآن إلا أوراق الجرائد الصفراء! حينها أدركنا جميعا أي باب للجحيم كان له الشاذلي موصدا دافعا، وأي ناعق بالفتنة كان له الشاذلي قامعا!! وأي شيطان مارد كان الشاذلي حابسا له في قمقمه! في عهده انقشع الغطاء عن الأعين فصارت تبصر – أو تحاول أن تبصر – ، وانحلت عقدة الألسنة، فكان منها الفصيح والصريح، والألكن والألطن، والذي بالكاد يلثغ بالأبجدية، المهم..كان الجميع يتكلمون حين يتألمون.

في عهده كانت الرغبة في التحرر من " أبوية" يمارسها البعض على الشعب، والتي كانت مزيجا من " الوصاية المريضة" والسادية الناعمة.

كان – رحمه الله – صديقا للشعب، ومصدقا له، وواثقا فيه، ولهذا – وبكل تلقائية وبساطة – صادق على قرار " الانعطاف السياسي" التاريخي الذي اتخذه الشعب أواخر

1991..، وكان ذلك منه من منطلق " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"، ولو وضعنا كلمة "شعب" مكان كلمة "أخيه"، لكانت القراءة صادقة: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لشعبه ما يحب لنفسه ".

بهذا المنطق جاهد وناضل ..وبهذا المنطق حكم وساس، واحتكاما إلى هذا المنطق استقال واعتزل ويا ألف طوباه إن كان على هذا المنطق سيلقى الله!..

هذا هو " الشاذلي" كما أحس به لا كما أعرفه، وكما أتصوره لا كما أراه.

ملامح من شخصية الشاذلي بن جديد كما تعكسها مواقع الانترنت

د/ زكية منزل غرابة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة-

يعتبر الرئيس الأسبق الراحل الشاذلي بن جديد أحد الشخصيات الجزائرية التي ستبقى الحياة بتجددها تشهد له بكثير من الإسهامات التي شكلت منه فسيفساء رائعة لمجموعة من الملامح التي يشهد بها من عاصروه وعرفوه عن قرب،وانعكست بصورة واضحة في صفحات المواقع الإلكترونية ذات المشارب والمرجعيات المختلفة في توجه واحد يؤكد أن الرجل قد أنصفه التاريخ وأنصفه القلم،وهو ما ستتعرض له هذه الصفحات بناء على ما تضمنته المواقع الإلكترونية على شبكة الإنترنت.

أولا: **التواضع**:التواضع من الصفات المحمودة:وجوهر لطيف يستهوي القلوب ويستثير الإعجاب والتقدير،وهي صفة قلما نجدها لدى الأشخاص وبخاصة ممن يعتلون المناصب العليا وليس غريبا أن نقر بحق أن الراحل الشاذلي بن جديد كان شخصية متواضعة بامتياز،يشهد له بهذه الميزة أحد من عاصروه،وفي هذا السياق يقول الحاج عمار قرباطوفي لقاء مع جريدة الشروق اليومي قائلا :" أن المرحوم الشاذلي بن جديد إنسان متواضع بما يرقيه إلى أعلى المراتب من التقدير والاحترام الذي يفرضه على الآخرين، وهو إنسان مخلص، وأهل عصفور بولاية الطارف يعرفون جيدا تواضعه عندما كان يأتي لزيارة ابن عمه الهاشمي بن جديد الذي كان مسؤولا للغابات بالمنطقة، حيث كان يجالس الناس ويعرفهم واحدا واحدا باسمه، وبكل تلقائية وتواضع كان يسأل عن رفاقه، وحدث أن قدم إلى عصفور والتقى بأحد رفاقه في السلاح مسعود كندي الذي تعرض إلى إعاقة في السمع وفي الذهن بسبب إصابته في إحدى المعارك فأمسك به وأخذ يداعبه مثلما يداعب الأب ابنه الصغير بكل حنية أبوية"[1].

---

[1]- http://forum.maktoob.com ،تاريخ الدخول :12 /4 /2013م .

ثانيا: الانفتاح: لن نكون مجانبين للصواب إذا ما قلنا بأن الرئيس الأسبق الشاذلي بن جديد كان من الشخصيات السياسية القليلة المنفتحة في الوطن العربي،فقد أحدث إصلاحات عميقة في النظام السياسي السائد آنذاك حيث "دعا بن جديد إلى الانتقال للديمقراطية والسماح بالتعددية الحزبية" [1]،وأثمرت هذه الإصلاحات من خلال الانتقال من حكم الحزب الواحد إلى حكم التعددية الحزبية،وشهدت الساحة السياسية إثر ذلك ظهور العديد من الأحزاب السياسية واستحداث منصب الوزير الأول في الجزائر وإقرار التعددية الإعلامية.ولم يقتصر انفتاح الرجل على هذه الجوانب بل تجاوزت إلى شخص المرأة الجزائرية حيث تشير الإصلاحات السياسية التي أحدثها أن الرجل أوجد لها من القوانين ما يوسع من صلاحياتها ولعل وجود زهور لونيسي على رأس وزارة التربية والتعليم آنذاك خير برهان على ذلك وقد صرحت الوزيرة السابقة بذلك بقولها: "كان الأول من احترم المرأة ورفعها إلى منصب الوزير في فترة الثمانينات"[2]، وكان الرجل الراحل برسمه الخطوات الأولى للديمقراطية " صورة لا تتكرر في مسيرة التاريخ **الجزائر**"[3] **كما وصفه الدكتور عميمور المستشار الإعلامي بل يمكن اعتباره**"كورباتشوف **الجزائر**"[4] على حد قول المدير العام للحماية المدنية العقيد مصطفى هيبري لمجهوداته في الإصلاحات السياسية في البلاد.

ثالثا:شخصية محبة لشعبها: يشير علماء النفس والتربية أن الشخصية المتواضعة عادة ما تكون منفتحة على الآخرين ومحبة لهم،وكذلك كانت شخصية الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد،حيث يشهد له من عاصره أنه عاش محبا ومتفانيا في أن يعيش شعبه عزيزا كريما مرفوع الرأس ونقف هنا عند هذه الشهادة التي صرح بها مولود حمروش أحد رؤساء الحكومة السابقين وهو من المقربين للشاذلي بن جديد حيث يقول عن حب الرئيس لشعبه "كان دائما يبحث عن رفاهية الشعب والإجراءات التي اتخذها في ذلك الوقت أكبر دليل على ذلك من إلغاء رخصة الخروج من التراب الوطني، كما ناضل المرحوم

---

[1]– http://ar.wikipedia.org ،تاريخ الدخول : 4،3 /2013م .

[2]– http://www.alseyassi.com/ara/sejut ،تاريخ الدخول :23 /4 /2013 م .

[3]– http://www.vitaminedz.com ، تاريخ الدخول: 14 /4 /2013م .

[4]– http://www.djazairess.com/ ، تاريخ الدخول: 12 /4 /2013م .

الشاذلي بن جديد من أجل أن يعيش الشعب في ظروف جيدة، لهذا أعطى بجاعة كبيرة للحكم من إنشاء المؤسسات"[1]، وليس هذا فحسب فقد **أصدر قرارا برفع منحة السياحة التي كانت تعطى للرعايا الجزائريين عند سفرهم إلى الخارج**[2].

رابعا:محب للعلم والعلماء: إن قراءة متأنية في حياة الراحل الشاذلي بن جديد لتؤكد أن الرجل كان بحق شخصية تحترم العلم وأهله،فعندما انعقد ملتقى الفكر الإسلامي الرابع بوهران قام شخصيا باستقبال شيوخ الملتقى وكبار العلماء مثل الشيخ البوطي والشعراوي ومحمد الغزالي وآخرون وهو سلوك نادرا ما يحدث من طرف رؤساء الدول.لأن الرجل كان عمليا فقد شجع بل وأمر بتسريع الانتهاء من إنشاء أكبر جامعة للعلوم الإسلامية، وهي جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، واستقدم لها الشيخ الغزالي سنة 1984م والذي كان رئيس مجلسها العلمي آنذاك،وطلب منه الراحل بن جديد "أن يجعل منها أزهر الجزائر"[3]، وأرسل إعلانا للبحث عن كبار العلماء للتدريس فيها في كبريات المجلات العربية، مثل "المستقبل" و"الوطن العربي" و"كل العرب"، وتشرفت الجامعة بمرور الكثير من كبار العلماء ومنهم القرضاوي والبوطي[4]. وتجاوز تقدير الراحل بن جديد واحترامه للعلم والعلماء أن طلب من الشيخ الغزالي رحمة الله عليه "أن يقدم للجزائريين حديثا أسبوعيا وهو حديث الاثنين الذي فرض توقيته الرئيس على التلفزيون قبل نشرة الثامنة"[5]. وفي عهده وجدت دور النشر الخاصة مثل دار البعث والشهاب تشجيعا من قبل مؤسسات الدولة لإعادة نشر كتب الشيخ الغزالي والشيخ القرضاوي تقديرا لهما، وفتح المدارس الثانوية أمام الدعاة المشارقة للاحتكاك المباشر بالجيل الصاعد من الطلبة. وتثمينا لتقديره للعلم تم إنشاء معاهد إسلامية في كل الجزائر العاصمة وأدرار سنة 1986م، كما كانت هناك فكرة لإنشاء

---

[1]- http://www.djazairess.com/ . المصدر السابق.

[2]- http://www.alquds.co.uk 12/ 4/ 2013م .

[3]- http://www.maqalaty.com ،تاريخ الدخول :24/ 4/ 2013م .

[4]- http://www.echoroukonline.com،تاريخ الدخول :22/ 4/ 2013م .

[5]- المصدر نفسه

جامعة بوهران تحمل اسم الشيخ عبد الحميد بن باديس موازاة مع جامعة الأمير عبد القادر،غير أن ظروفا حالت دون تحقيق هذا المشروع.

خامسا: الوطنية: عاش الراحل الرئيس الشاذلي بن جديد طيلة حياته رجلا متفانيا في خدمة الجزائر،وعرفت عنه هذه الوطنية منذ شبابه أي قبل أن يكون مسؤولا على هرم السلطة .فقد "كان الشاذلي بن جديد مثال الجندي المنضبط الذي قذفت به حياته الشقية تحت ظل النظام الكولونيالي للالتحاق بالثورة وهولا يزال فتى طري العود، ولم يكن له من هدف إلا المساهمة في تحرير البلاد"[1]. وفي شهادة للمجاهد والضابط عبد الحفيظ أمقران ووزير الشؤون الدينية في عهد الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد يقول بأنه "يشهد للراحل صفات الشجاعة والإقدام والانضباط أثناء العمل الثوري المسلح كما كان يمثل قدوة الحسنة للمجاهدين في جيش التحرير الوطني وأيضا لما كان قائدا في الجيش الوطني الشعبي بعد الاستقلال[2].

سادسا: رجل المواقف : حينما نتحدث عن مواقف الرجل هنا فإنما نخص تلك المواقف التي اتخذها تجاه قضايا الجوار أو الأشقاء،فقد أكد تفانيه في ضرورة إحداث اللحمة بين دول المغرب العربي،وعرف عنه أنه كان" أحد الرؤساء المشهورين والمعروفين بالنزاهة والوطنية الصادقة والإيمان بالاتحاد المغاربي"[3]. لقد أثمرت المساعي في هذا الشأن عن الإعلان عن تأسيس إتحاد المغرب العربي بمدينة مراكش في تاريخ 17 فيفري 1989م فيما يعرف بمعاهدة إنشاء إتحاد المغرب العربي وشكل أعضاؤه من الدول الخمس الآتية: الجزائر،المغرب،تونس، موريتانيا،ليبيا.إن الإتحاد المغاربي الذي كان يقصده الشاذلي بن جديد ليس انصهار الدول الأعضاء في بوتقة واحدة وإنما شكل من أشكال الاتحاد الذي يحفظ لكل دولة نظامها الخاص وهوما اتفق عليه ("باتحاد" وليس "بوحدة")[4] كما صرح بذلك شخصيا .وكان من أهم الأهداف التي كان يرمي إلى تحقيقها الإتحاد المغاربي[5] :

---

[1]- http://djazairnews.info :تاريخ الدخول:15/ 4/ 2013م .

[2]- www.radioalgerie.dz ، تاريخ الدخول:25 /4 /2013 م .

[3]- http://www.el-massa.com ، تاريخ الدخول : 12 /4 /2013م .

[4]- http://www.radioalgerie.d، مصدر سابق.

[5]- المصدر نفسه.

- إلغاء الحدود بين الدول الأعضاء فيه، والتنسيق الأمني فيما بينها.
- العمل تدريجيا على تحقيق حرية تنقل الأشخاص وانتقال الخدمات والسلع ورؤوس الأموال فيما بينها.
- نهج سياسة مشتركة في مختلف الميادين تتمثل في :

✓ **الميدان الدولي:** تحقيق الوفاق بين الدول الأعضاء وإقامة تعاون دبلوماسي وثيق بينها يقوم على أساس الحوار.

✓ **في ميدان الدفاع:** صيانة استقلال كل دولة من الدول الأعضاء.

✓ **في الميدان الاقتصادي:** تحقيق التنمية الصناعية والزراعية والتجارية والاجتماعية للدول الأعضاء واتخاذ ما يلزم اتخاذه من وسائل لهذه الغاية، خصوصا بإنشاء مشروعات مشتركة وإعداد برامج عامة ونوعية في هذا الصدد.

✓ **في الميدان الثقافي:** إقامة تعاون يرمي إلى تنمية التعليم على كافة مستوياته وإلى الحفاظ على القيم الروحية والخلقية والمستمدة من تعاليم الإسلام السمحة وصيانة الهوية القومية العربية واتخاذ ما يلزم اتخاذه من وسائل لبلوغ هذه الأهداف خصوصا بتبادل الأساتذة والطلبة وإنشاء مؤسسات جامعية وثقافية ومؤسسات متخصصة في البحث تكون مشتركة بين الدول الأعضاء .

وأما فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية باعتبارها القضية المشتركة بين العرب والمسلمين فإن الرجل اعتبر بحق صاحب قضية ومبدأ بدليل تفعيله لكل الأنشطة الخاصة بها،وهو ما يعترف به عباس زكي عضو اللجنة المركزية لحركة فتح حينما أقر للرجل فضله في" أنه في مرحلة الجفاف احتضن القضية الفلسطينية وعقد كافة مجالسها الوطنية وتحملت الجزائر مسؤولية جبهة الصمود والتصدي واحتضنت الإعلان عن الدولة الفلسطينية في عهده"[1].

ومن المواقف التي تسجل للرجل رفضه التام مشاركة الجيش الجزائري في التدخل عسكريا عند تم اجتياح الكويت من طرف العراق في ما يسمى حرب الخليج الأولى سنة 1991.

هذه بعض الملامح التي أمكننا أن نقف عندها في حياة الراحل بن جديد، ما يعني أن الرجل كان يحمل من المعطيات ما أهلته أن يكون على هرم السلطة ويساهم في السير بالبلاد إلى صورة من العطاء والرفاهية.

---

[1] – http://www.elkhabar.com، تاريخ الدخول :23 /4/ 2013م .

الرئيس الشاذلي بن جديد
العسكري والسياسي

لقاء الشاذلي ببومدين
والتحويل الإيجابي في مسار حياته العسكرية والسياسية

أد/ إسماعيل سامعي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية-قسنطينة-

لقاء الشاذلي وبومدين في غار الدماء في النصف الأول من عام 1960 يعد تحولا كبيرا في مسار حياة الرئيس الشاذلي بن جديد فقد أثر هذا اللقاء وما تبعه من اجراءات تنظيمية لجيش التحرير الوطني الموجود بالحدود التونسية الجزائرية على مسار وتكوين شخصية الرئيس الشاذلي من الناحية التنظيمية والسياسية، فقد كانت المنطقة الشمالية من القاعدة الشرقية مجال تطبيق وبلورة تأثر بومدين على الشاذلي، وبرز هذا التغير وذلك من خلال ما كتبه في مذكراته، أو ما قام به بعد ذلك اللقاء التاريخي بالنسبة له، وبعد استرجاع السيادة الوطنية حتي خليفته لهذا القائد الفذ، والرئيس الكبير كبر الثورة والجزائر.

إن أهم صفات الرئيس الشاذلي بن جديد هو إيمانه العميق بالله وبالوطن وتواضعه وصدقه في القول والعمل، نقف على هذه الصفات من خلال من عاشوا معه، وقد روى لي إمام جامع غار الدماء سنة 1982 الذي يعرف عددا من قادة الثورة بوجوده في مدينة غار الدماء التي كانت من أهم القواعد الخلفية للثور التحريرية، ومنهم هواري بومدين والشاذلي بن جديد قال لي عن الرجلين الآتي: لقد كان هواري بومدين يبدو منطويا على نفسه لا يخالط ولا يتكلم كثيرا، ولكنه يفكر كثيرا، فهو رجل عملي يقرن النظري بالفعل، قال: كنت أراه يحمل كراسة وهو يروح ويجئ داخل قيادة الأركان في غار الدماء، ومن حين للآخر يخرج قلما ويدون ما يفكر فيه، أما الشاذلي بن جديد فكان عندما يتواجد بالقيادة، أو يأتي إليها من القاعدة الشرقية الشمالية فإنه يصلي الأوقات معنا في الجامع، ومن وفائه كما قال لي أنه بقي الاتصال بيننا، وفي أواخر السبعينات ساعدني الشاذلي في تسجيل أبنتي بعد أن نالتا البكالوريا بجامعة عنابة لمواصلة دراستهما الجامعية بالجزائر بالحصول على منحة دراسة، وهو عضو مجلس الثورة وقائد الناحية العسكرية الخامسة بوهران، كان لقاء الشاذلي ببومدين في غار الدماء، ولم يكونا يعرفان بعضيهما

البعض، وذلك كما أسلفنا في النصف الأول من عام 1960: ويبدو أن هذا اللقاء تعلم الشاذلي منه الكثير لاسيما فيما يخص النظرة المستقبلية.

أولا: تعلم كيف يستمع إلى الآخرين دون أن يقمعهم بأسئلة أو بتقديم أرائه، وهو ما بقي يفعله الشاذلي بن جديد خلال قيادته للناحية العسكرية الخامسة أو عندما كان رئيسا للجمهورية حيث مثلا في زيارته التفقدية في الولايات سمح لرئيس المجلس الشعبي الولائي بأن يتدخل ويقدم تقريره باعتباره منتخبا وممثلا للشعب وليس الوالي فقط ممثل الإدارة أو الدولة، كما كان متعبا في عهد الرئيس بومدين، وقوى هذا الاتجاه لا سيما أثناء المرحلة التي فسح فيها المجال للتعددية الحزبية، ولحرية التجمع والمسيرات، ولتكوين الجمعيات والأحزاب، فقد كان يقال فيه الكثير، وتقدم الانتقادات الإذاعة له شخصيا، وأحيانا اللاأخلاقية في رئيس دولة، لكن الرئيس الشاذلي لم يكن يقول شيئا، ولم يرد إلا في القليل النادر معبرا عن رأيه فحسب، وهوما عبر عنه واقتدى به عند لقائه ببومدين فقال عن بومدين: "استمع إلى عروضنا – أي هووابن سالم – عن الوضعية السائدة في القاعدة الشرقية، وكان يصغي أكثر مما يتكلم (مذكرات، 149).

ثانيا: احترم الرأي كان الرئيس الشاذلي بن جديد مؤمنا بأن الرأي الآخر يجب أن يحترم في الجزائر لذلك كان صادقا عندما أطلق الحريات منذ أن تولى الحكم في الجزائر سنة 1979، ولم يكن ذلك نتيجة ضغوطات خارجية أو داخلية ربما أن الكثير ممن كانوا محيطين به كانوا مستفيدين من الإبقاء على تقيد الحريات أكثر من إطلاقها، وثمة نماذج من ذلك ما زالت حتي اليوم.

ثالثا: يبد وأنه تعلم من بومدين كيفية استغلال الطاقات البشرية، فقد تأثر بأول إجراء اتخذه بومدين أو قيادة الأركان، وذلك بتشكيل مكتب تقني من الضباط الفارين من الجيش الفرنسي، ومن ذوي الرتب العليا كشابو، وزرقيني، وبوتلة، وهو ثمان، وعبد المؤمن، الذين كلفهم بومدين بوضع خطة عضوية لإعادة تنظيم الجيش وانتشاره وهيكلته في شكل فيالق ووحدات للأسلحة الثقيلة وأصبح هؤلاء بمثابة قيادة أركان مصغرة اعتمد عليها بومدين في تطبيق خطته الجديدة (مذكرات ،149).

رابعا: الشاذلي عكس ما كتبه الطاهر الزبيري حول هؤلاء الضباط فهولم يعيرهم بماضيهم في الجيش الفرنسي وتخلفهم عن الالتحاق بالثورة، ولم يتهمهم ، فقد كتب الزبيري مبديا معارضته الشديدة لهؤلاء، ومن قادة النواحي في المنطقة الشمالية عند التحاقهم بها (مذكرات الطاهر الزبيري، ط1 عام 2011)، كما أنه كان يدلي برأيه في التهم الموجهة إلى بومدين من أنه أعاد إدماج الفارين من الجيش الفرنسي "فمن التهم الموجهة إلى بومدين أنه أعاد إدماج الفارين من الجيش الفرنسي، ووعينهم في مناصب حساسة، ودعم ارتقاءهم وترقياتهم في مناصب استراتيجية أثناء الثورة وبعدها، وهذه التهمة بقدر ما تنطوي على حقيقة بقدر ما تخفي مغالطة. ذلك أن بومدين حين استلم قيادة الأركان وجد هؤلاء الضباط يحتلون مناصب مسؤولية في وزارة القوات المسلحة وعلى رأس فيالق وفي مدارس التكوين. وورث أيضا وضعية متأزمة من مظاهرها تفكك الوحدات القتالية وانقطاع الثقة بين القيادة والجنود وغياب استراتيجية لاستعداد للمبادرة في قيادة الحرب "مذكرات الشاذلي، ص، 152)، وقد استمد موقفه هذا من موقف بومدين، وهو الذي استمر فيه عندما تولى الرئاسة وبوأ البعض منهم الشاذلي في مراتب عليا في الجيش الوطني الشعبي كخالد نزار، وقد مثل هؤلاء الثقل العسكري منطقة عبور حيث تمر عبرها كل القيادات العسكرية للثورة، وقوافل جيش التحرير والأسلحة والأخبار، والتي كانت تضم ثلاث نواحي يشرف عليها كل من جبار عمر، وعبد الله نواورية، وعمارة العسكري، وقد إعادة تنظيم القاعدة الشرقية، إلى منطقتين:

1- المنطقة الشمالية التي أسندت قيادتها إلي فريق ضم عبد الرحمن بن سالم كقائد للمنطقة، والشاذلي بن جديد نائب سياسي له، وأحمد بن عبد الغاني نائب مكلف بالاتصال والأخبار، وتمتد هذه المنطقة من البحر إلى المريج جنوبا (عبد الحميد عوادي، القاعد الشرقية ، طبع دار الهدي، 1993).

2- المنطقة الجنوبية التي اسندت قيادتها لصالح السوفي، ومحمد علاق، وسعيد عبيد، وتمتد من المريج عند نهاية المنطقة الشمالية إلى غاية النقرين جنوبا أي جنوبي تبسة (القاعدة الشرقية97)، وهذا التنظيم ساعد كثيرا على دمج وحدات الجيش، والقيام بعمليات نوعية، وهو ما أثر في الشاذلي، وأشاد به في مذكراته، وهو أيضا ما أدى به إلى إعادة تنظيم الجيش في عهده حسب ما سرح به الجنرال خالد نزار في إحدى القنوات التليفزيونية.

خامسا: شخصية الشاذلي بن جديد الهادئة تميل بطبعها إلى الانضباط وهو ما تلاقي فيه مع بومدين الذي فرض الانضباط والنظام على الجيش بعد إعادة تنظيمية، وأصبحت وحداته تخضع إلى قيادة موحدة، وممركزة بعد ما كانت في السابق تدين بالولاء إلى مسؤوليها المباشرين (المذكرات، ص161).

سادسا: تكوين جيش عصري وتجاوز الخلافات التي أصبحت تهدد الثورة، وتهدد أكثر كيان الدولة والمجتمع بعد استرجاع السيادة الوطنية، وهو الأمر الذي تعود عليه بعض القادة، ولم يستطيعوا هضم المتغيرات، والشاذلي بن جديد يرى فيما قام به بومدين هو الأصح، وقد برهنت الأحداث على صحته، فبعد أن كان الجيش له مراكز وتجمعات حسب الولايات في الداخل، قام بومدين بمزج الجنود والضباط ونجح في تكوين جيش عصري جيد التدريب والتسليح، ثم نشره في المنطقة الشمالية والجنوبية للقاعدة الشرقية للقيام بالعمليات العسكرية (المذكرات، ص151).

سابعا: وحدة الجيش ومزجه بعد القضاء والنعرات الإقليمية والقبلية التي كانت سائدة في صفوفه، وتفكيك الإقطاعات، والحد من عقلية أسياد الحرب حسب رأي الشاذلي (المذكرات، ص151)، وكل هذا حتى يشعر الجنود أنهم يحاربون من أجل وطن واحد، وهدفهم واحد هو القضاء على العدو المستعمر وتحرير البلاد، وإعادة السيادة لها. كما استمد الشاذلي بن جديد الحلول أو المواقف التوافقية، لا سيما فيما قام به من إعادة تنظيم الجيش على أساس الجمع بين الأسلوبين المتناقضين أسلوب حرب العصابات، والاختيار الطوعي للانضباط، وأسلوب تنظيم الجيش على النمط الكلاسيكي، فكانت عبقرية بومدين فيما يقول الشاذلي تكمن في إدراكه بسرعة وفي الوقت نفسه الخلاف بين الأسلوبين، وتأثيره على معنويات الجنود فاختار حلا وسطا، فمزج الجنود والضباط وأعاد انتشار الوحدات، وسطر برنامجا للتكوين السياسي والعسكري، وأعاد النظر في طرق تدريب وأساليب القتال (المذكرات، ص 153)، وكان بومدين مقتنعا بأن من يقوم بهذه المهمة أي مهمة تكوين الجيش هم الضباط الفارين الذين يتمتعون بتقنية عالية حصلوا عليها في المدارس العسكرية الفرنسية، وأنه لا بد أن نستفيد منها (المذكرات، ص 154)، ويرى الرئيس الشاذلي عكس ما قاله البعض من أن هذه السياسة قد أثمرت نتائجها ميدانيا سواء في التنظيم أو التدريب، أوفي صياغة الخطط الحربية، وقد توافقت مع استعداد

المجاهدين للقتال والتضحية (المذكرات، ص154). لكن الرئيس الشاذلي ينتقد بومدين ضمنيا عندما يقول أن بومدين أدرك بحسه العملي أن بعض الضباط الفارين متشبعون بقيم الولاء والطاعة والانضباط الصارم، وأنهم يطبقون الأوامر من دون نقاش، ومن دون خلفية سياسية؛ وكان هذا ما يريده بومدين (المذكرات، ص 154)؛ والعبارة الأخيرة قد تعني أمرين عند الشاذلي ما كان يريده بومدين من تنظيم الجيش وانضباطه، أو حبه للسيطرة وولاء الآخرين له. وهذه اللقاءات تحولت بمرور الزمن إلى علاقة وطيدة ترجم جزءا منها الشاذلي بن جديد في مذكراته بعنوان "بومدين كما عرفته" ويحسن الرجوع إلى هذا الموضوع في مكانه من (المذكرات،ص 283)، غير ما يمكن قوله هنا هو:

أولا: الوصف الجسدي لومدين أنه كان طويل القامة، متقشفا، ومتواضعا، وكله صرامة وجدية، وخجول إلى درجة الحياء، وعلى ما يبدو هو الذي جعل الشاذلي يتأثر كثيرا، ولطبيعة تشابه شخصيتهما.

ثانيا: كان يتخذ القرارات بعد فحص كل الاحتمالات، وردود الفعل، ويترك الأمور تتضح، لكنه عندما يتخذها نادرا ما يتراجع، وهو ما أخذه عنه الشاذلي بن جديد لا سيما في قراراته ومنه عدم رجوعه عن قراره إقرار التعددية والديمقراطية في بداية التسعينات، ولوأدي به ذلك إلى الاستقالة وهو ما حدث له بالفعل.

ثالثا: أن بومدين كان يستشير مساعديه سواء كان ذلك اثناء قيادته للجيش خلال الثورة أو أثناء قيادته لمجلسي الثورة والحكومة.

رابعا: قراراته في المسائل الوطنية كانت حاسمة ونابعة عن قناعة لاسيما مسألة استعادة اللغة الوطنية لمكانتها، واستعادة رموز الشخصية الوطنية كعطلة الأسبوع من الأحد إلى الجمعة، وهو ما ثمنه الشاذلي بن جديد واستمر فيه خلال الثمانينات .

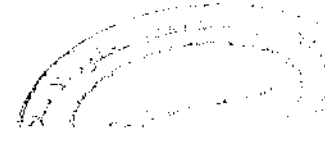

1- الشاذلي بن جديد، مذكرات الجزء الأول 1929-1979 (الجزائر: دار القصبة للنشر 2011).

2- عوادي عبد الحميد، القاعدة الشرقية،(عين مليلة/ الجزائر: دار الهدى، 1993).

3- الزبيري الطاهر العقيد، نصف قرن من الكفاح – مذكرات قائد أركان جزائري، (الجزائر: الشروق للإعلام والنشر، 2011).

قراءات في خطب الرئيس الشاذلي بن جديد

د/ عبد المجيد قدور

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة-

الشاذلي بن جديد هو الرئيس الجزائري الثالث بعد الاستقلال،تولى سدة الحكم عندما بلغت الجزائر المستقلة سن العشرين. تولى الرئيس الشاذلي بن جديد حكم الجزائر من شباط- فبراير 1979 إلى كانون الثاني- يناير 1992 علما أنه كان رجلا عسكريا،و أراد الارتقاء بالجزائر إلى مستوى الكبار، بعدما اكتشف عمق أزمتها من الانتقال.

والشاذلي بن جديد رئيس الجمهورية والأمين العام لحزب جبهة التحرير الوطني متعدد النشاطات ولا نستطيع خلال هذه المساهمة المتواضعة التطرق لكل جوانب حياته، ولهذا اخترت خطاباته الافتتاحية لدورات اللجنة المركزية بصفته رئيس الجمهورية والأمين العام للحزب، ومن خلالها نتعرف على سياسته والتغيير الذي حققه.

قبل أن الرئيس الشاذلي بن جديد بدأ سنة 1979 يتحدث عن أخطاء المرحلة السابقة؛ وهذا ما سنتتبعه في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد خلال الثمانينيات من القرن العشرين، اعتمادا على بعض خطاباته الرسمية الموجة إلى المناضلين والشعب الجزائري خلال دورات اللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني مابين سنتي 1984-1986. وهي الفترة التي عرفت ستة دورات للجنة المركزية، وكل دورة افتُتحت بخطاب للرئيس الشاذلي بن جديد.

أولا: الدورة الحادية عشرة للجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني

بتاريخ: 16 جانفي 1984 م: في خطابه الافتتاحي قدم رئيس الجمهورية الشاذلي بن جديد أمام القيادة المنبثقة عن المؤتمر الخامس للحزب، كلمة أبرز فيها المهام والمسؤوليات الكبرى،الملقاة على عاتق القيادة، والآمال التي عبر عنها المناضلون والمواطنون. وقال سيادته عن القيادة الجديدة للمؤتمر الخامس: "إن شعبنا يعلق آمالا كبيرة على القيادة السياسية التي لابد وأن تكون في مستوى المسؤولية، وعند حسن ظن كل المناضلين والمواطنين". ويعني هنا أن السلطة التنفيذية والمناضلين كل في مكانه ينبغي أن يكون شغله

الشاغل هو خدمة المصلحة العامة وتلبية حاجة المجتمع. وفيما يتعلق بالمهام والمسؤوليات الرئيسية للقيادة الجديدة، عبر الرئيس عن الثقة الكاملة للمناضلين والشعب الجزائري قائلا: " إنها مسؤولية ثقيلة حملنا إياها المناضلون والمواطنون،وأكد على الالتزام بالعمل والصرامة تجسيدا لشعار المؤتمر الخامس[1]، ووصف الرئيس الشاذلي ظروف تلك الفترة بأنها أكثر انسجاما وتكاملا، من شأنها توفير شروط عمل مثمرة،مما يعزز قدرة الحزب على التغلب على الصعاب، وفتح المجال أمام انتصارات جديدة. وأضاف الرئيس: "بأننا سنواصل المسيرة آخذين بعين الاعتبار المرحلة الحاسمة التي انطلقت بعد التحرير الوطني، والتي لابد من أن تتم بروح المسؤولية والإخلاص للوطن، وانسجام الجهود لتعزيز الصف وتحقيق وحدة الفكر[2].

أما ما يتعلق بتحقيق آمال وتطلعات الشعب قال الرئيس: "إن المرحلة تتطلب تجنيدا أكبر وأكثر فعالية مما (يضمن لشعبنا) انتصارات جديدة تكون لصالح التنمية الوطنية الشاملة، وفي صالح المواطن الجزائري في حياته اليومية، في ظل الكرامة والاطمئنان. وأكد رئيس الجمهورية على الدور الأساسي الذي تلعبه كل القوى الحية في البلاد التي هي امتداد طبيعي وميداني لحزب جبهة التحرير الوطني ، حيث قال في هذا الخصوص: "إذا التزمنا أوقفنا هذا الالتزام من أجل ربح المعركة المقبلة، وأن النصر سيكون حليفنا" أي حليف الشعب الجزائري[3]. وأعرب الرئيس عن كبير أمله في إطارات البلاد، وعن كامل ثقته في القيادة السياسية حيث قال متفائلا:"إنني انتظر منها—أي القيادة—مضاعفة الجهود لتحقيق أهداف التنمية الوطنية، وتعزيز الاستقلال الوطني،لا الاستقلال السياسي فحسب بما له من أهمية كبرى، ولكن لتعزيز الاستقلال الاقتصادي في هذا العالم المتسم بالتوتر "ثم اختتم الرئيس كلمته أن هذه المرحلة تتطلب تجنيد كل الطاقات حتى نكون على موعد مع التاريخ، وحتى نحقق طموحات مناضلي الحزب، وسائر المواطنين، واضعين في الاعتبار الأول المصلحة العليا

---

[1]– **العمل بجد الدفاع عن المكتسبات وذلك في كل المجالات ونشاطات الحزب والدولة.** أنظر:مقررات اللجنة المركزية من المؤتمر الخامس إلى المؤتمر الاستثنائي **1984–1985** . ج3، ص10.

[2]– نفس المصدر . ص10 .

[3]– مقررات للجنة المركزية ج3، ص10

للوطن[1]، إذن أهداف القيادة في المرحلة الجديدة تتمثل في تعزيز الاستقلال الاقتصادي، وعدم الاكتفاء بالاستقلال السياسي وحده. لأن الاكتفاء الذاتي والتخلص من التبعية الغذائية، والتحكم في ثرواتنا الطبيعية الظاهرة والباطنية هو الهدف الاسمي وكذلك التخلص من الديون الخارجية التي ربما تجعل التدخل الأجنبي في شؤوننا ممكن. من محتوى هذا الخطاب الافتتاحي للرئيس الشاذلي يتضح خط الإصلاح الذي اختاره هذا الرجل والمناضل قبل كل شيء لإخراج الجزائر من دائرة التخلف والقفز بها إلى مصاف الدول المتقدمة، وهو حلم كل جزائري عادي فما بالك بمن ضحوا بحياتهم من أجلها أوتعرضوا لأهوال الفترة الاستعمارية من أجل أن تعيش الجزائر حرة مستقلة. واليوم وبعد افتكاك الاستقلال الوطني السياسي جاء الشاذلي ليكمل المشوار، وهمه الشاغل هو الاستقلال الاقتصادي، وتحرير البلاد من التبعية إلى الخارج، ولا يكون ذلك إلا بالاعتماد على الذات، والتخلص من المديونية الخارجية،التي مافتئت تتضخم مع الأيام والسنين،وقد عمل بكل مجهوده، ولكن يبدو أن المشكلة كانت أكبر منه.

ثانيا: الدورة الثانية عشرة للجنة المركزية 22-24-1984: لدي افتتاحه الجلسة الأولى للدورة الثانية عشرة للجنة المركزية من قبل رئيس الجمهورية بن جديد قال في خطابه التوجيهي: "لقد اتبعنا سُنة حميدة، إذ حرصنا في كل مناسبة أن نسلط الأضواء على بعض القضايا التي تخص نشاط الحزب والدولة والتي تتعلق بتطور الأوضاع على المستويين الوطني والدولي، حتى تتمكن القيادة من الاطلاع على حقيقة الوضع في البلاد وتحدد موقفها من مختلف القضايا لضمان استمرارية وحدة التفكير والعمل[2]، وبعد أن أشار الرئيس الشاذلي إلى أهمية الدورة 12 للجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني، تطرق إلى موضوع حيوي يتعلق بالتنمية الوطنية في المرحلة القادمة أي المصادقة على التوجيهات الكبرى للمخطط الخماسي 1985-1989 حيث أوضح أنه على جميع المسؤولين أينما كانوا، وفي مختلف لقاءاتهم عليهم أن يأخذوا بعين الاعتبار وضعنا الاقتصادي الراهن ومتطلبات المرحلة الجديدة بالنسبة للتنمية الوطنية[3]. وبعد أن

---

[1]- مقررات للجنة المركزية ج3، ص11

[2]- مقررات اللجنة المركزية من المؤتمر الخامس إلى المؤتمر الاستثنائي .ج3، ص47

[3]- مقررات اللجنة المركزية من المؤتمر الخامس إلى المؤتمر الاستثنائي 1984-1985، ج3، ص10.

ذكّر رئيس الجمهورية بأن المخطط الخماسي الحالي أوشك على نهايته وحيث أنه أُعد في ظروف خاصة يعرفها الجميع نظرا لاستحالة تقييم مسيرة 20 سنة في أشهر معدودة والإلمام بكل متطلباتها، عبرعن ارتياحه للنتائج التي حققها المخطط منوها بأن آخر السنة هو موعد انتهاء المخطط الذي سوف يكون في الموعد فيما يخص المراحل التنموية السابقة مع إعطاء اهتمام أكبر للقطاعات الحيوية عملا بسياسة التنمية الوطنية المتوازنة والعادلة. ثم انتقل الرئيس إلى المخطط القادم وأوضح أن الإعداد له يتم في ظروف مواتية وفي متسع من الوقت الأمر الذي يسمح برسم الأهداف الرئيسية له بوضوح، اعتمادا عن المعطيات المتوفرة ،وهكذا شُكلت لجنة وطنية لدراسة المحاور الكبرى للمخطط وتقديم اللجنة المركزية نتائج أشغالها وتأثيرها على التنمية الوطنية في السنوات القادمة. وقد تطرق الرئيس لقطاع الفلاحة مؤكدا على العناية به اعتبارا لكونه مصدر ثروة لا تنضب شريطة الاعتناء بقطاع المياه المرتبط بالفلاحة أن الجهود تجاوزت ما وصى به المؤتمر الاستثنائي للحزب، وأنه لابد من مواصلة استغلال كافة الإمكانيات لبناء السدود وتوفير مياه الشرب للمواطن ومياه الري للأرض.

القطاعـــــات:

السكن يشغل اهتمام القيادة تحدث الرئيس عن قطاع السكن موضحا أنه يشغل اهتمامات القيادة السياسية مشيرا إلى العجز المسجل في القطاع يعود إلى أسباب عديدة منها عدم إعطائه ما يستحق من اهتمام من قبل وبحكم النمو الديموغرافي السريع ،وأكد انه طبقا لتوجيهات المؤتمرات السابقة واللجنة المركزية اتخذت الحكومة إجراءات فعالة بدأت تجنى ثمارها اليوم وينبغي مواصلة الجهود في المستقبل لتخفيف عبء المشاكل الاجتماعية التي تواجهها الأسرة الجزائرية نتيجة نقص المساكن رغم كونها مشكلة الدول النامية بصف عامة. وقال الرئيس أن هذه القطاعات الحساسة مازالت في حاجة ماسة إلى تكثيف الجهود لمضاعفة حجم الانجازات فيها في آجال مقبولة ومضبوطة وبتكاليف معقولة وعند تطرق للبحث عامة وقطاع البحث العلمي بصفة خاصة أشار إلى أن الأعمال التي تمت في هذا الشأن من قبل مازالت ناقصة،خاصة ما يتعلق بالثروات الطبيعية التي تزخر بها بلادنا ظاهرا وباطنا ،وأوضح سيادته أن الدراسات التي أُعدت لم تضبط بدقة هذه الثروات، وهو أمر ينبغي الاهتمام به في إطار المخطط الخماسي القادم، لكي تتهيأ الشروط اللازمة لاستغلال الثروات مضاعفة الموارد المالية للدولة ؟

ومن هنا يتبين مدى اهتمام الدولة بالإصلاحات وحرصها على تلبية احتياجات المواطن ذات الأولوية خلال المخطط الخماسي وهي ميادين كل من الفلاحة والري، السكن والبحث العلمي. وبعد الميادين الاجتماعية تطرق الرئيس بن جديد إلى قطاعات التنمية الأخرى ملحا على ضرورة الاهتمام بالصناعات الخفيفة للتحكم أكثر فيما أنجز في مجال الصناعات الثقيلة قبل التفكير في انجاز وحدات كبرى أخرى وهو ما يعتبر هروبا إلى الأمام. أضاف أنه لابد من تحديد أهداف واضحة للتصنيع والاكتفاء الذاتي أولا، قبل التفكير في التصدير.لأن ذلك يأتي في مرحلة لاحقة بالتدريج ومع تطور الاقتصاد الوطني.

وانتقل للحديث عن مجهود العمل والتحكم في الإمكانيات مبرزا أنه بفضل التجنيد الواسع واستغلال الطاقات البشرية المادية أصبحنا نتحكم أكثر في وضعنا الاقتصادي في كل المجالات مقارنة بالسنوات الماضية. والذي بلغته البلاد لم يتم صدفة ،بل تحقق بفضل الاستغلال العقلاني للمجهود المبذولة منذ المؤتمر الرابع للحزب حتى اليوم رغم بقاء بعض الظواهر السلبية مثل بعض حالات التبذير وسوء التسيير وعدم التحكم في وحدات الإنتاج[1]، وفي المجال التنظيمي أشار ابن جديد إلى المجال التنظيمي مبرزا أنه باعتراف العديد من المسيرين في الميدان هناك ظروف جد ملائمة للعمل على مختلف المستويات مكنت الإطار الجزائري من ممارسة مهامه بفعالية أكبر بفضل اللامركزية وإعطاء صلاحيات واسعة للسلطات المحلية أكبر، وأكد على وجوب مواصلة الجهود في هذا الاتجاه وهو ما يمكن الحزب من اللعب دورا هاما وخاصة في مجال التوجيه والتوعية. وأن نتيجة الاستفادة من تجارب السنوات السابقة وتصحيح الأخطاء، واتخاذ إجراءات شجاعة أصبحت بلادنا تتحكم أكثر في سير تنميتها ووضعها الاقتصادي، مما يجعلنا ننظر إلى المستقبل بالتفاؤل والتسلح باليقظة للحفاظ على استقرار البلاد .

وفي هذا الصدد أشار كعادته على أهمية الاعتماد على النفس ومحاربة السلبيات والمفاهيم الخاطئة لتعزيز المكاسب والتي تحققت والتي ستنجز ضمن مخطط التنمية القادمة،وحث على التخلص من الاتكال على الدولة والمطالبة بالحقوق فقط وإهمال

---

[1]- مقررات اللجنة المركزية .ج3، ص50.

الواجبات لأن واجب المواطن أولا الاعتماد على عمله جهده الذاتي وحماية مكاسب الدولة التي هي مكاسبه وقال:إذا كنا نقول نعم للحقوق علينا أن نقول نعم للواجبات. أن ما يجمعنا هو خدمة الوطن والمجتمع ، وإتاحة الفرصة للعناصر المؤمنة بتحقيق الأهداف ميدانيا في آجالها المحددة وبالإمكانيات المتاحة [1].

ثم تحدث عن قرارات العفو والتسامح التي أصدرها أخيرا بمناسبة انعقاد الملتقى الوطني الثاني لكتابة تاريخ الثورة وأكد في هذا الشأن أن عظمة وقوة الثورة تكمن في التسامح فالثورة التي تتسامح مع أبنائها هي ثورة قوية لقد أردنا أن نعطي بمناسبة الذكرى الثلاثين لثورتنا ومن خلال مظاهرها الإنساني النابع من قيمها العربية الإسلامية.

وأشار إلى قرار إنشاء لجان لدراسة بعض الأحداث والملفات التي لها علاقة بما يجرى الثورة وقد شرعت هذه اللجنة في أشغالها لتقديم اقتراحاتها، وأوضح أن الثورة الجزائرية ترفض كل مزايدة بالشعارات المستوردة وتحارب كل التيارات الوافدة عليها من أي جهة كانت لان الشعب الجزائري فصل في مسالة اختيار النهج الذي يسير فيه وجميع مناضلي حزب جبهة التحرير يعملون لتجسيد هذا الاختيار وتعزيزه وهم على ارتباط وثيق بالقاعدة الشعبية.

وبشان القطاع الوطني الخاص أكد الشاذلي أن هذا القطاع موجود بالفعل وعليه أن يلعب دوره في ميدان التنمية الوطنية كأداة من أدواتها، وأن الدولة ستساعده وتراقبه وتنشطه في إطار منظم ليقوم بواجبه تجاه البلاد في ظل القوانين الواضحة. وبخصوص سياسة الجزائر الدولية جدد الشاذلي المواقف الثابتة لبلادنا تجاه قضايا الشعوب العادلة خاصة التي تكافح من أجل استقلالها وحريتها كما أعاد إلى الأذهان من جديد أن الجزائر تؤمن بمبدأ الحوار والحلول السياسية كوسيلة لحل المشاكل القائمة في كل مناطق العالم وستبقى الجزائر وفية لسياستها الواضحة.

---

[1]– مقررات اللجنة المركزية .ج3، ص ص 51 - 52 .

ثالثا: كلمة الرئيس في الدورة 13 للجنة المركزية 1984/12/23 بقصر الأمم[1]:

افتتح الرئيس خطابه قائلا:" هذه السنة حاسمة لما ينتظرها من أعمال تهم مستقبل البلاد بدءا بالملف الذي درسته اللجنة والخاص بتقييم استعمال اللغة الوطنية وستعرف السنة القادمة نشاطا يتم خلاله تنفيذ برنامج واضح في كل مؤسسات الحزب والدولة، يجعل اللغة الوطنية تحتل مكانتها الطبيعية بالقطاعات الهامة التي لها علاقة بحياة المواطن".

وبعد الانطلاقة ستكون هناك متابعة ميدانية من طرف المجلس الأعلى للغة الوطنية، وستكون السنة القادمة سنة التطبيق الميداني لكافة قرارات وتوجيهات القيادة السياسية، وستشهد السنة القادمة حدثا آخر يتمثل في تقييم إطارات الأمة لحصيلة النشاطات التي تمت في إطار تطبيق المخطط الخامس، حتى تتمكن اللجنة المركزية في دورتها القادمة من دراسة نتائج هذا التقييم والتعرف على كافة المعطيات التي تضبط الانجازات وتحدد النقائص وتسمح لاتخاذ الإجراءات الملائمة للمخطط الخماسي الثاني بالانطلاق من قاعدة سليمة تضمن له أسباب النجاح ويبد واضحا أن اللغة الوطنية كان لها سهم الأسد خلال هذه الدورة الثالثة عشرة والمسؤولية جماعية لا تقتصر على المجلس الأعلى للغة الوطنية فقط لأن اللغة الوطنية أحد رموز الاستقلال الوطني .

بالإضافة إلى النشاط التنظيمي الذي يتمثل في إتمام عملية إعادة هيكلة المؤسسات الاقتصادية وتصفية ديونها، وهذا ما أشار إليه سيادة الرئيس بقوله :" سيكون عام 1985 عام النشاط الجدي للمؤسسات الوطنية بعد إتمام عملية إعادة هيكلتها وضبط تنظيمها ولم يعد أمامها مبرر للتأخر عن المساهمة في دعم الاقتصاد الوطني بتحسين سير العمل فيها ومضاعفة إنتاجها وسنقوم هذا العام بمواصلة تصفية المشاكل المالية للمؤسسات الاقتصادية للدولة ".

وبعد أن تعرض للمؤسسات الوطنية إعادة هيكلتها وضبط تنظيمها انتقل إلى إعادة الهيكلة الإدارية الجديدة للولايات والبلديات كما جاء في كلمة الرئيس:"وستكون السنة الجديدة سنة الانطلاقة الميدانية للولايات والبلديات الجديدة بعد إعادة الهيكلة الإدارية للتراب الوطني إذ نستطيع أن نؤكد اليوم أن الولايات والبلديات الجديدة أصبحت

---

[1]– انتهاء المخطط الخامس والاحتفالات بالذكرى الثلاثين لاندلاع ثورة نوفمبر 1954).

تتوفر تقريبا على جميع الشروط التي تجعلها في مستوى الولايات الأخرى لباقي الوطن وسنة 1985 تتميز بالشروع في تحقيق أهداف المخطط الخماسي2 الذي سيستفيد من تجارب تنفيذ المخطط الأول وأول مخطط يقوم على أسس سليمة حيث أن الأول كان حصيلة للمشاريع المتأخر انجازها من المخططات السابقة "[1].

وأردف قائلا:"هذا كله يؤدي إلى ضبط عملنا بدقة وبلورة نشاطاتنا وتعبئة جهودنا وتوظيف كافة قدراتنا من أجل تحقيق الأهداف، التي حددناها لأنفسنا من أجل غد أفضل، ومجتمع مزدهر مبني على العدل والمساواة...".

لهذا نؤكد اليوم أننا نعلق أمالا كبيرة على المرحلة القادمة وهو ما يجعلنا نقول أن السنة المقبلة ستكون سنة التطبيق العملي لشعار العمل والصرامة والرقابة الميدانية ولقد تحدثنا عن هذا الموضوع مرات عدية وخلال مناسبات مختلفة ولا يعني هذا تسامحنا أو تساهلا عن هذا الجانب في سنة 1984 وإنما راعينا المرحلة النهائية من المخطط الخماسي الأول، ابتداء من العام القادم.

ومع بداية المخطط الخماسي الثاني سوف نتابع عن كثب تطبيق هذا المبدأ في الميدان وستتخذ الإجراءات اللازمة لضمان تجسيد الشعار الذي نادي به المؤتمر الخامس لحزب جبهة التحرير ومرة أخرى أقول لن نتسامح أبدا مستقبلا وستجد الإجراءات الضرورية ضد كل الذين يعتقدون أن الشعارات ستبقى مجرد شعارات إن السنة القادمة ستكون سنة الحسم ولذا نطلب من الجميع الالتزام ببرامج العمل المسطرة [2]. لأن النتائج المحصلة خلال السنوات الماضية تجعلنا نتفاءل خيرا وأنا واثق أننا نستطيع بناء اقتصادي وطني متين.

رابعا: الدورة الرابعة عشرة 28–29 أفريل 1985: لدى افتتاح الدورة ا لرابعة عشرة أكد الرئيس أهمية الاجتماع نظرا للمرحلة تقييم المخطط الخماسي الأول وانطلاق المخطط الخماسي الثاني وألح الرئيس على ضرورة تجنيد وتعبئة الجهود والإمكانيات كافة المجالات لتحقيق النجاح والأهداف المحددة مع الاستفادة من التجربة المحصل عليها على ضوء النتائج سلبية وايجابية لتدارك النقائص مستقبلا ،وأكد على البلاد كسب معركة التنمية

---

[1]– مقررات اللجنة المركزية ج3، ص85.

[2]– نفس المرجع .. ص86.

بكل عزم وثبات وهو ما يتطلب العناية الفائقة والمتابعة الدائمة لكل النشاطات على مستوى المؤسسات وعلى مستوى الرجال لتحقيق الأهداف الطموحة لثورتنا في بناء اقتصاد وطني قوي مستقل وإقامة مجتمع مبني على العدل والرخاء تبعا لاختياراتنا الأساسية[1].

أكد الرئيس أن الشغل الشاغل للقيادة هو معالجة المشاكل التي يعان منها المواطن وتلبية احتياجاته تفرض توظيف كل الإمكانيات وتتطلب منا العمل الجماعي قيادة سياسية ومؤسسات ومناضلين. وأشار إلى أن الثورة استطاعت بقوتها وبوعي أبنائها أن تقضي على الكثير من المشاكل لو مازالت تواصل المسيرة ولن تسمح للطفيليين أن تصرفها عن غايتها النبيلة[2]... وتطرق الرئيس إلى سياسة الجزائر الخارجية موضحا أنها مرآه لسياستها الداخلية وأكد أن الجزائر التي تحرص على إتباع سياسة داخلية ثابتة طبقا لاختياراتها الأساسية حريصة في نفس الوقت أن تكون مواقفها ثابتة تجاه القضايا المطروحة على الساحة الدولية وأكد أن الجزائر تؤمن بسياسة عدم الانحياز وتمارسها بحق وهي انطلاقا من غيرتها على استقلالها وسيادتها تسعى لإقامة علاقات مع جميع الدول التي تأخذ بعين الاعتبار هذه الحقيقة وتعمل بمبدأ المصلحة المشتركة والاحترام المتبادل، وأوضح أن كل حركات الجزائر ونشاطاتها الدولية تندرج ضمن ممارستها لساسة مستقلة غير منحازة وفي إطار حوار مفتوح تعبر من خلاله مباشرة عن رأيها إزاء جميع القضايا وتتعرف على وجهات نظر الدول الأخرى عن كثب حتى لا تترك فرصة لتشويه مواقف الجزائر لحقيقية التي لا تخضع لأي تغيير تجاه الأشقاء والأصدقاء[3]، وأكد مرة أخرى أن الجزائر التي تؤمن إيمانا عميقا بحتمية المصير المشترك لشعوب المنطقة وتعمل في اتجاه تقريب وجهات النظر بين بلدانها كما أنها حريصة على مواصلة الجهود لإيجاد حل سلمي عادل لقضية الصحراء الغربية، ثم أشار إلى العلاقات القائمة بين الجزائر والبلدان المجاورة نتيجة توفر الإرادة السياسية والثقة المتبادلة وخصوص القضايا المطروحة على الساحة العربية أوضح أن السلام في المنطقة مرهون بحل المشاكل الجوهري ألا وهو تمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقوقه المشروعة في الحرية

---

[1]– مقررات اللجنة المركزية من المؤامر الخامس الى المؤتمر الاستثنائي. 1984–1985 الجزء الثالث. ص125

[2]– نفس المرجع الجزء الثالث .ص 126

[3]– المرجع السابق. ص126

وتقرير المصير وإقامة دولته على أراضيه المغتصبة وأشار أن كل مبادرة لا تأخذ بعين الاعتبار جوهر المشكل المطروح لن تساهم في إيجاد حل سلمي دائم .

وبعد استعراض مجمل العلاقات بلدان القارة الإفريقية والعالم الثالث والدول الصديقة أكد أن الجزائر تحظى برصيد كبير من الاحترام لن سياستها لا تخضع لأي تقلبات ظرفية بل مبنية على مبادئ ودعائم ثابتة، وأوضح أن هذه السياسة الداخلية والخارجية المنطلقة أساسا من حرية القرار الجزائري واستقلالية تقلق بعض الجذور الاستعمارية التي مازالت راسية والتي ليس من مصلحتها أن تكون الجزائر قوية ومحترمة ودعا الى مزيد من اليقظة والتجنيد لمواجهة كل ما من شانه اثارة مشاكل هامشية تصرف البلاد عن اهتماماتها الرئيسية المتمثلة في التركيز على المزيد من الجهد لتلبية احتياجات المواطنين والعناية بأوضاعهم الاجتماعية وتطبيق سياسة تنموية متوازنة على جميع الأصعدة حتى تتحقق العدالة بين المناطق وتكون عملية التنمية شاملة [1] لكل الولايات بالتراب الوطني وهي سنة ستصبح عادة كلما فكرت القيادة في التقسيم الإداري على المستوى الولائي والبلدي.

خامسا: كلمة الرئيس في الدورة الخامسة عشرة للجنة المركزية 27-28 نوفمبر 1985:

ألقى الرئيس الشاذلي بن جديد والأمين العام للحزب في اختتام الدورة 15 للجنة المركزية عبر فيها عن ارتياحه للمساهمة الفعالة للمناضلين والمواطنين في عملية إثراء الميثاق الوطني وحث كل المسؤولين والقوى الحية للبلاد على مضاعفة التعبئة لإعطاء المجهود الوطني دفعا قويا يكون في مستوى طموحات الجماهير وأهداف الثورة. وبعد أن شكر اللجنة الوطنية للمتابعة والإشراف على عملية إثراء الميثاق الوطني أبدى ارتياحه للمشاركة الكبيرة للقاعدة النضالية والمساهمة الواسعة للمواطنين الذين عبروا أرائهم بكل صدق وإخلاص وابدوا ملاحظات هامة سواء تلك التي لها علاقة بعملية اقراء الميثاق أو تلك التي تخص اهتماماتهم وانشغالاتهم اليومية وطلب الرئيس من أجهزة الحزب والهيئات التنفيذية أن تأخذ هذه الآراء والملاحظات بعين الاعتبار أن تعمل جاهدة على معالجة القضايا بكل جدية تحقيقا للانسجام والتكامل والتجاوب وأوضح الرئيس بأننا مقبلون

---

[1] - مقررات للجنة المركزية. ص127

على سنة جديدة حافلة بالنشاطات حيث ستنعقد خلالها مؤتمرات المنظمات الجماهيرية وتشهد تطبيق الشريحة الثانية من المخطط الخماسي الثاني الذي يتطلب من كافة المسؤولين والمناضلين والمواطنين التجنيد لربح معركة التنمية ويتطلب اتخاذ إجراءات ملائمة وفقا لمتطلبات ومستجدات لأننا نعيش في عالم يشهد تحولات وأزمات وتوتر دائم.

وخلص إلى القول أن الإجراءات التي أتحدث عنها لا تتمثل في اتخاذ القرارات السياسية فقط، وإنما ينبغي أن تطبق ميدانيا وتصحبها متابعة دائمة كوسيلة لضمان النجاعة والنجاح في مسعانا[1] وفق لاختياراتنا والواضحة والجزائر بحجم ثورتها تضايف بعض القوى الخارجية التي تحاول إثارة بعض المشاكل هامشية تجعلها تنكمش على نفسها وتخلى لهم الساحة وجدت لها مطية في بعض العناصر الضعيفة ذات الدهنيات المتخلفة لكن الثورة قوية ويقظة وقادرة على ردع كل من تسول له نفسه محاولة تمزيق وتشتيت صفوف هذه الأمة .

سادسا: مقررات اللجنة المركزية الدورة 16جوان-1جويلية 1986: القى الرئيس بن جديد الأمين العام للحزب لدى افتتاح أشغال الدورة 16 للجنة مركزية خطابا توجيهيا شاملا لأهم القضايا الداخلية والخارجية وذكر في الجزء الأول على انعكاسات الأزمة الاقتصادية العالمية وأثارها على الاقتصاد الوطني وفي هذا الإطار أكد ضرورة اتخاذ هذه الدورة لتدابير عملية وفعالة لمواجهة الأزمة من منظور الحرص على دعم الاستقلال الاقتصادي صيانة حرية القرار السياسي بالنسبة للثورة الجزائرية علما بأنه سبق للقيادة أن اتخذت عددا من التدابير الاحتياطية منذ 1980 توقعا للازمة واستعدادا لمواجهتها في حينها، غير أن تطور الأزمة خلال هذا العام و تعامل الدول الصناعة معها قد اظهر أن الأزمة قد استُغلت من طرف الدول الغنية لشن حرب ضد الدول النامية ومنعها من حرية استثمار مواردها الأولية تعميق الوعي بالأزمة الاقتصادية. ثم تعرض الرئيس لبعض النتائج التي ترتبت عن الأزمة في المجال الداخلي وذكر بالخطوات الفعلية التي اتخذتها القيادة السياسية حتى الآن خاصة في مجال تطبيق مزيد من التقشف على الهيئات

[1]- مقررات اللجنة المركزية ج3، ص168

التنفيذية في الحزب والحكومة ودعا الإطارات إلى ضرورة تحقيق مزيد من التحكم في التسيير وترشيد أوجه الصرف ومحاربة التبذير بجميع أشكاله في جميع المجالات وأشار في هذا الإطار إلى ضرورة إيجاد توازن حقيقي بين الاستمرار في تطبيق متطلبات المركزية من جهة وإيجاد صيغة فعالة للقيام برقابة مركزية أكثر صرامة في مجال تنفيذ المشاريع والمخططات على كل المستويات، ثم دعا من جهة أخرى أعضاء اللجنة إلى دراسة مشاريع الأزمة المختلفة في إطار المخطط الخماسي الثاني بهدف ترتيب الأولويات والاستعداد لمواجهة كل الاحتمالات وعلى هذا الأساس حث الرئيس على ضرورة تعميق الوعي بإشكال الأزمة وعواملها المختلفة تأكيدا لمبدأ الاعتماد على النفس والقدرات الذاتية لان استمرار تحسين معيشة المواطن مرهون بتطور وتنمية الإنتاج الوطني. وتعرض سيادته في هذا المجال إلى السمعة الطيبة التي تمتع بها الجزائر المجال الدولي والأسواق العالمية مؤكدا ان القيادة السياسية مصممة على إتباع سياسة مالية مسؤولة تتجنب اللجوء غير المخطط إلى مزيد من الاقتراض حرصا على البقاء في حدود معقولة للمديونية يتحملها لاقتصاد الوطني ولا تمس بالاستقلال الاقتصادي ولا تزهق مستقبل الأجيال، وألح الرئيس على دور القيادة السياسية الذي يتمثل في عدم الاكتفاء بتسيير الأزمة، ولكنه يتطلب اقتلاع عواملها الداخلية ،والإسهام في صياغة مواقف دولية تساعد على إيضاح فكرة الحوار الدولي الحقيقي ،في إطار مفاوضات شاملة لتجنب العالم المخاطر المترتبة على استمرار نظام اقتصادي عالمي مجحف، وبعد تعرض الرئيس للقطاع الفلاحي وذكر بالتدابير التي اتخذت لتطوير الفلاحة أكد على ضرورة خلق جسور بين مؤسسات التكوين والبحث العلمي والقطاع الفلاحي ثم ألح على ضرورة تطوير أنماط التسيير وتحقيق مزيد من التحكم والترشيد نظرا للدور الهام للتنمية الفلاحية في مجال الإعداد للاستقلال الغذائي[1].

الحوار مبدأ في السياسة الجزائرية :ولذا أشار الرئيس الشاذلي لدى تطرقه للمجال الدولي إلى التطورات التي تعرفها المنطقة العربية مشرقا ومغربا بالنسبة للمغرب العربي فقال: "بأن الجزائر مافتئت تؤمن بسياسة الحوار والعمل على تصفية الأجواء بين الأشقاء، وإيجاد

---

[1]– مقررات اللجنة المركزية الدورة 16 .ص6

حلول عملية للمسائل والقضايا الثنائية، علما بان قضية وحدة المغرب كانت مدعوة لتسجيل خطوات جبارة لولا القضية الصحراوية التي عرقلت العمل الوحدوي ، ذلك أن الكفاح الذي يخوضه شعب الصحراء الغربية من أجل ممارسة حقه المشروع في تقرير مصيره واستقلاله هو كفاح عادل حظي بتأييد واعتراف واسع في إفريقيا وخارجها ،غير أن بعض الملابسات التي حفت بظهور وتطور هذه القضية حجبت عن عدد من الحكومات العربية الطابع الحقيقي لهذا الكفاح ،من أجل تصفية الاستعمار في المنطقة.

وقد ذكر الرئيس بأن الجزائر شجعت المبادرة التي اتخذها الرئيس عبدو ضيوف رئيس منظمة الوحدة الإفريقية والسيد بيريز دي كويلار الأمين العام للأمم المتحدة من أجل القيام بمساع بين الطرفين المغربي والصحراوي وتطبيق لائحة منظمة الأمم الوحدة الإفريقية رقم 104 ولائحة الأمم المتحدة رقم 50 –40 وذلك من أجل التوصل إلى حل سياسي للقضية، وأشار الرئيس إلى أن المبادرة لم تسفر عن نتيجة ايجابية نظرا لتصلب موقف النظام المغربي [1]. وعلى ذلك ينبغي توفير الشروط الموضوعية لوحدة المغرب العربي وفي هذا الصدد أكد الرئيس أنه على الإدارة الجزائرية الدائمة العمل الجاد من أجل توفير تلك الشروط...لهذه الوحدة وفقا لمبادئ الشعب الجزائري في ميثاقه الوطني. وعلى هذا الأساس أجرت الجزائر حوارا معمقا مع جميع أطراف المغرب العربي من أجل تدعيم تصور واضح وبناء لمستقبل المنطقة والخطوات المرحلية والهياكل والمؤسسات اللازمة الكفيلة ببناء مغرب عربي يضمن الاستقرار، ويحسن ظروف التنمية ويعزز الاستقلال الوطني، ويدعم صموده في وجه مختلف التحديات. ومن هنا فإن الجزائر مستعدة لأي لقاء جدي يحقق الهدف،بعيدا عن أي ملابسات ظرفية أو تكتيك تحكمه حسابات مؤقتة، وبعد أن تحدث طويلا عن المغرب العربي انتقل الرئيس إلى قضية الشعب الفلسطيني مشيرا إلى أن عوامل تشتيت الصف الفلسطيني يخدم الامبريالية والصهيونية. ثم تطرق إلى عوامل فشل انعقاد قمة عربية رغم التحديات العديدة التي تواجه الأمة العربية في أماكن عديدة من المنقطة وتعرض إلى المبادرة التي دعت إليها الجزائر من أجل اجتماع فصائل المقاومة الفلسطينية، وقد شرح في هذا الإطار طبيعة الدور الجزائري المتضامن

[1] – مقررات اللجنة المركزية الدرة 16. ص7

مع الثورة الفلسطينية والذي يرفض التدخل في الشؤون الداخلية للفلسطينيين، وذلك أن الوضعية الحالية تفرض على الفصائل المقاومة ليس الاجتماع فقط، بل تفرض عليها بحث وإقرار قاعدة سياسية واضحة تأخذ في الاعتبار الطموحات المشروعة للشعب الفلسطيني في إقامة دولة فلسطينية مستقلة كما تراعي الأبعاد القومية للقضية الفلسطينية في المنطقة بصورة تضمن المواجهة في الإبان لكل محاولة تهدف إلى تحجيم القضية الفلسطينية وتشتيت صفوف الفلسطينيين. بما يخدم المخططات الامبريالية والصهيونية، وبذلك تستطيع الثورة الفلسطينية أن تهيأ الظروف الشروط الأزمة لإيقاف مخططات التصفية التقتيل الوحشي للفلسطينيين والإمعان في تشريدهم. وبعد أن واصل استعراضه لكفاح الشعوب المضطهدة، حيا الرئيس الشاذلي الكفاح البطولي الذي يخوضه جنوب إفريقيا وناميبيا ضد التمييز العنصري والهيمنة الاستعمارية، وأشاد بجهود منظمة الوحدة الإفريقية سعيا للتخلص من بؤر التوتر في القارة الإفريقية [1].

خلاصة القول أن المسؤوليات الكبرى الملقاة على عاتق القيادة السياسية والآمال التي عبر عنها المناضلون والمواطنون وكان لها الأولوية خلال المخطط الخماسي الأول وهي ميادين الفلاحة والري والسكن والبحث العلمي كان لها نصيب الأسد في خطابات الرئيس الشاذلي... وكذلك دراسة مشاريع الأزمة المختلفة في إطار المخطط الخماسي الثاني بهدف ترتيب الأولويات والاستعداد لمواجهة كل الاحتمالات مستقبلا، وذلك بتعميق الوعي بإشكال الأزمة وعواملها المختلفة، وبالاعتماد على النفس والقدرات الذاتية، لأن استمرار تحسين معيشة المواطن مرهون بتطور وتنمية الإنتاج وإتباع سياسة مالية مسؤولة، تتجنب اللجوء غير المخطط إلى مزيد من المديونية. وركز سيادته على تطوير أنماط التسيير وتحقيق مزيد من التحكم والترشيد، نظرا للدور الهام للتنمية الفلاحية في مجال الإعداد للاستقلال الغذائي. وإعادة هيكلة المؤسسات الاقتصادية وتصفية ديونها وكان الحوار مبدأ في السياسة الجزائرية في المجال الدولي وهو ما اتسمت به سياسة بن جديد،الذي أعطى اهتمام كبير إلى التطورات التي تعرفها المنطقة العربية مشرقا ومغربا.ولم ينس اتحاد المغرب العربي رغم ظهور

---

[1]– مقررات اللجنة المركزية .الدورة 16 ص9.

قضية الصحراء الغربية.وبالموازاة كانت تهمه قضايا العالم العربي والقضية المحورية "القضية الفلسطينية"وكذلك قضايا القارة الإفريقية.

خاتمـــــــــة:

صفوة القول: أن الشاذلي بن جديد رئيس الجمهورية والأمين العام لحزب جبهة التحرير الوطني كان رجلا متميزا ليس في سلوكه وتعامله مع الملفات الساخنة ، وإنما كان متميزا في اتخاذ القرارات والإجراءات وفي إخلاصه لوطنه وشعبه وأمته، وقد رحل مرتاح البال والضمير وذلك بعد أن أدى واجبه على أكمل وجه... رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.

علاقات الجزائر الخارجية في عهد الشاذلي بن جديد من خلال رسالة دكتوراه عراقية

د/بشير فايد

-جامعة سطيف-

مقدمة: شاركنا في النصف الأول من شهر جويلية من عام 1912م، في أشغال مؤتمر دولي نظمته وحدة الدراسات العمانية، بجامعة آل البيت بالمملكة الأردنية الهاشمية، وكانت المناسبة فرصة للقاء العديد من الأكاديميين والباحثين العرب، في الوطن العربي وخارجه، المشتغلين في البحث والدراسات التاريخية، لتبادل الأفكار والرؤى والتجارب، وعرض الاهتمامات، التي تتصل بالحقل التاريخي عامة والتاريخ العربي خاصة.

وكان من الأشقاء، الذين تواصلنا معهم، الدكتور **سعد توفيق عبد الله البزاز** من دولة العراق الشقيق، الذي أهدانا مشكورا نسخة من كتاب قيم، عبارة عن أطروحة نال بها شهادة الدكتوراه، مع درجة الشرف، من قسم التاريخ جامعة الموصل بعنوان:**الجزائر في عهد الشاذلي بن جديد- التحولات الداخلية والخارجية وأثرها في العلاقات الدولية**[1].

حيث أعربنا له عن تفاجئنا، من هذا الاهتمام بشخصية جزائرية لا زالت على قيد الحياة، ولم تغادر الساحة السياسية إلا منذ فترة زمنية وجيزة، فضلا عن تشعب موضوع الدراسة، وعدم وجود دراسات سابقة عن حياة الرئيس الشاذلي بن جديد، الذي كان في تلك الأثناء بصدد كتابة مذكراته، التي لم تنشر كما هو معروف إلا في شهر نوفمبر من عام 1912م، بعد أيام قليلة من وفاته.

وقد أجابنا الدكتور على ذلك بقوله، أنه من المعجبين جدا بالجزائر تاريخا وثورة وشعبا ودولة، وأن البحث الذي أنجزه ليس للحصول على شهادة الدكتوراه فحسب، وإنما لإشباع تعطشه لمعرفة كل ما يتعلق بهذا البلد، ماضيا وحاضرا ومستقبلا.

---

[1]- **سعد توفيق البزاز:الجزائر في عهد الشاذلي بن جديد- التحولات الداخلية والخارجية وأثرها في العلاقات الدولية، ط1، دار أيله للنشر والتوزيع، عمان، الأردن:2011م.**

وأضاف، بأن هذا الشغف هو الذي جعله يتخطى العقبات المتعددة، التي واجهته في الطريق، ومنها بالخصوص عدم تمكنه من زيارة الجزائر، لجمع المادة الخبرية الأساسية التي يتطلبها العمل، بسبب الوضع السياسي السائد في العراق حينئذ. فاكتفى بما هو موجود في العراق، وما تحصل عليه من البلدان العربية المجاورة، وما جادت به عليه شبكة الإنترنت.وقد طمأننا بأنه سيواصل العمل في هذا المسار، خاصة وأن الظروف أصبحت مساعدة لكي يزور الجزائر، ويستطيع أن ينجز بحوثا أخرى حولها في مختلف الميادين، تكون أكثرا توثيقا ومصداقية من الناحية العلمية.

1- وصف الرسالة:حافظ الباحث في نشره للرسالة، على عنوانها الأصلي، مع حذف للفترة الزمنية التي تخص المرحلة التي حكم فيها الرئيس الشاذلي بن جديد الجزائر من 1979م إلى غاية 1992م، حيث كانت تلك أول ملاحظة وجهناها له بمجرد قراءتنا للعنوان، فبرر ذلك بأنه نزولا عند رأي الناشر، الذي اعتبر العنوان سيكون أطول، بإضافة التاريخين المذكورين آنفا، وهي إشكالية تصادف الكثير من الباحثين، الذين يضطرون لإجراء تغييرات ليس على عناوين بحوثهم فقط، وإنما على أحجامها وهيكلتها، وربما مضامينها، استجابة للشروط التي تفرضها دور الطبع والنشر، التي لها معاييرها الخاصة، ذات البعد التجاري، التي قد تتعارض في بعض الأحيان، مع المنهجية العلمية والصرامة الأكاديمية.

اختار الباحث دارا أردنية لنشر أطروحته، وهي دار **أيلة** للنشر والتوزيع، التي أخرجتها في مجلد ذي طباعة ممتازة، وقد جاءت في 416 صفحة، اشتملت على مقدمة وستة فصول وخاتمة، وملاحق، وقائمة المصادر والمراجع التي وظفها في البحث باللغات العربية والانجليزية والفرنسية.

بين في البداية، أهداف الدراسة، التي حددها في تسليط الضوء على هذا البلد العربي، الذي شهد خلال فترة حكم الرئيس **الشاذلي بن جديد** (1979م-1992م)، مرحلة في غاية الدقة والحساسية والتي مازلت حسبه بكرا، لم تتطرق إليها البحوث والدراسات الأكاديمية، خاصة على مستوى المشرق العربي، حيث اقتصر الأمر على بعض الكتابات القليلة، والمقتصرة على بعض الجوانب فقط.فكانت الحاجة ماسة إلى إنجاز دراسة تاريخية سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية معمقة.

خصص الفصل الأول لاستعراض الأوضاع الداخلية للجزائر منذ الاستقلال وحتى وفاة الرئيس **هواري بومدين** 1965 م–1978 م، حيث أبرز أهم التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، خلال تلك الحقبة من الزمن، وما عرفته الجزائر من تطورات هامة على الساحة الداخلية.

أما الفصل الثاني، فتناول فيه التحولات السياسية بين عامي 1979م – 1992م، مع التركيز على فترة نهاية الثمانينيات، التي حفلت بالكثير من التحولات السياسية بدءا بأحداث أكتوبر 1988م، ثم إعلان دستور 1989م الذي أقر لأول مرة التعددية الحزبية في البلاد، ثم الانتخابات البلدية والتشريعية التي أجريت مطلع التسعينات، وأخيرا انسحاب الرئيس من الحياة السياسية باستقالته سنة 1992م.

تناول الفصل الثالث بدراسة التحولات الاقتصادية التي عاشتها الجزائر،في تلك الأثناء، وتنقسم بحسب الباحث إلى مرحلتين: الأولى تميزت بالازدهار بسبب ارتفاع أسعار البترول في الأسواق الدولية، والثانية بالاضطراب بسبب تراجع الأسعار، وما نجم عنها من تأثيرات كبيرة على التشغيل، وأداء مؤسسات القطاع العام، والمديونية الخارجية.

كرس الفصل الرابع، لدراسة التحولات الاجتماعية، وأحوال المدن والعمران، المجتمع والأسرة الجزائرية، فضلا عن المنظمات والحركات الاجتماعية، التي يطلق عليها المجتمع المدني.

بحث في الفصل الخامس، التحولات الثقافية، التي عرفتها البلاد بين عامي 1979م–1992م، و المسائل اللغوية والثقافية، وعلى رأسها ما سماه بالمشكلة الأمازيغية والتعريب، وتطور وسائل الإعلام.

تتبع في الفصل السادس، العلاقات الخارجية للجزائر في فترة الدراسة، في الميادين السياسية والاقتصادية، ومواقف الدول الغربية والعربية والمغاربية من أزمة 1992م، وهو الجانب الذي ستبرزه هذه الورقة.

اعتمد الباحث بشكل أساسي، على الوثائق المنشورة في مركز دراسات الوحدة العربية للأعوام 1979م–1992م، التي أفادته في الجانب المتصل بعلاقات الجزائر الخارجية.وعلى مذكرات الرئيس **أحمد بن بلة**، علاوة على عدد لا بأس به من

الرسائل والأطروحات الجامعية التي لها علاقة بالموضوع، ومجموعة من الكتب العربية المترجمة، ومصادر باللغات الفرنسية والانجليزية والاسبانية. بالإضافة إلى استعانته بشبكة الانترنت التي وفرت له، ما احتاج إليه من كتب ومجلات ومقالات ودراسات وصحف ورقية، تعذر عليه الحصول عليها.

هذا وبالرغم من أن المصادر والمراجع المستخدمة، غنية ومتنوعة وأثرت البحث، إلا أنها برأينا غير كافية للإحاطة بالموضوع من كافة جوانبه، بسبب غياب المصادر الأساسية والوثائق والشهادات، الذي برره بكونها غير منشورة أو سرية.

2- أهمية الدراسة: لا ريب أن هذه الدراسة، التي تناولت بالبحث والتحليل والمناقشة، التحولات الكبرى في الجزائر، إبان فترة حكم الرئيس **الشاذلي بن جديد** الذي يأتي ثالثا في الترتيب بعد الرئيسين **أحمد بن بلة** 1962 م-1965م **وهواري بومدين** 1965م-1978م، تعد عملا علميا وأكاديميا رصينا، يثري مكتبات المؤسسات الجامعية، ومراكز البحث والدراسات في العالم العربي، وحتى العالمية، إذا وجدت الدراسة من يتكفل بترجمتها إلى اللغات الكبرى، مثل الانجليزية والفرنسية والاسبانية.

وبالرغم من ذلك، لاحظنا أن الباحث، في بعض جوانب البحث، قد خضع لبعض الآراء والاتجاهات الأحادية، خاصة فيما يتعلق بالأزمة السياسية والأمنية التي اندلعت في البلاد، قبل وبعد استقالة **الرئيس الشاذلي بن جديد**.حيث بنى رأيه وحكمه على كتابات أو تصريحات، تلك الشريحة من السياسيين والمثقفين الجزائريين، الذين كانوا طرفا في الأزمة، أولهم مصالح سياسية أو أيديولوجية أوحزبية تحكم مواقفهم تلك.ولعل العذر في ذلك، هو عدم تمكنه من جمع المادة الخبرية الكافية، التي تجعل معالجته لتلك الفترة الحساسة جدا، أكثر مصداقية وموضوعية، زيادة على كونه من بلد عربي بعيد عن الجزائر. وفي هذا المسار، نرى أن قيمة الدراسات العربية والأجنبية، تتوقف على ما سيتم انجازه مستقبلا من دراسات في الجزائر، تكون بمثابة أرضية صلبة، تعطي للباحث العربي أو الأجنبي معطيات، ليست بالضرورة هي تلك التي يحصل عليها من وسائط، قد لا تسعى إلى الوصول إلى الحقيقة التاريخية، بقدر سعيها لتحقيق أهداف سياسية أو إيديولوجية ضيقة.

3- نظرة الجزائر إلى العلاقات الخارجية بعد الاستقلال: أورد الدكتور البزاز: أن العلاقات الخارجية للجزائر، بعد حصولها على استقلالها وسيادتها عام 1962م، قد تميزت بالتشعب، وبالارتباط بالكثير من دول العالم بعلاقات دبلوماسية.وقد ساعد على ذلك، ما أسماه وجود النية الصادقة للجزائر:((للخروج من الأطر المحدودة التي وضعت فيها البلاد بعد احتلالها)) من ناحية.

وللرغبة الكبيرة، التي أبدتها الدول الكبرى، في إقامة علاقات متميزة معها، لما تتمتع به من موقع استراتيجي ممتاز، وإمكانات اقتصادية هائلة، تتمثل بالخصوص في الثروات النفطية والمعدنية،وتعددت تلك الرغبة إلى الدول العربية في المشرق والمغرب، التي سعت إلى توثيق علاقاتها بها. بالإضافة إلى فرنسا التي عملت على إدامة صلتها بها، بحكم العوامل التاريخية.

4- علاقات الجزائر مع دول المغرب العربي:

أ- مع تونس: أشار الباحث، إلى أن العلاقات الجزائرية التونسية، خلال الثمانينات قد شهدت تطورا ملحوظا، في المجالات السياسية و العسكرية والأمنية، والاقتصادية والثقافية. كان من أهم نتائجها، إبرام معاهدة الإخاء والوفاق بين البلدين، واتفاقية التوأمة سنة 1983م، وترسيم الحدود . فضلا على الاتفاقيات التي تضمنت التعاون وتبادل التجارب في قطاعات الصناعة والسكن الأشغال العمومية، البريد المواصلات والتنمية الصناعية والصيد البحري والزراعة والتقنيات والثقافة والطاقة، والتعليم العالي والتقني و الإعلام و المواصلات و التنقيب عن المناجم والجمارك.مع التعاون والتشاور الدائمين لبحث على سبل تحقيق التقارب بين دول المغرب العربي، والوصول إلى الهدف الأسمى وهو الاتحاد المغاربي.

ب- مع المغرب: أكد الباحث، على أن علاقات الجزائر مع المملكة المغربية، لم تعرف الثبات أو الاستقرار مثلما كان عليه الحال مع تونس، بسبب مشكلة الصحراء الغربية، حيث لم تفلح الوساطة في إذابة الجليد بين الطرفين، وقد عرفت بعض التحسن خلال أعوام 1986م-1988م، حيث أعيدت العلاقات الدبلوماسية بينهما في ماي 1988م، بعد قطيعة دامت سنتين تقريبا، كما تم فتح الحدود في شهر جوان من السنة

نفسها. وأضاف بأن المشكلة الصحراوية، لم تمنع من وجود تعاون في ميادين الثقافة والعلوم، والمناجم والمحروقات، ففي هذه الأخيرة توجت المشاورات سنة 1988م بعقد اتفاق هام، لربط أنبوب للغاز بين حاسي الرمل وطنجة، وتصدير 12 مليار متر مكعب من الغاز الجزائري سنويا، نحوأوروبا عبر إسبانيا منها 2.5 مليار متر مكعب للمغرب.

ج – مع ليبيا: ذكر الدكتور البزاز، أن الجزائر وليبيا ربطتهما علاقات اقتصادية وثقافية وسياسية متميزة، منذ نهاية الستينيات وحتى الثمانينات، ورغم أن التكامل الاقتصادي بينهما في البداية، قد وقفت في طريقه بعض العقبات، بسبب الاختلاف في المنهج، إذ كانت ليبيا ترغب في وحدة سريعة شاملة بينهما، في حين كانت الجزائر تفضل تجسيده على مراحل. إلا أنه قطع أشواطا هامة، ويتجلى ذلك في الاتفاقيات والمشاريع المشتركة، التي عقدت في مجالات: الفلاحة، التجارة، النقل الصناعة الثقيلة، صناعة السيارات، إنشاء المصارف المالية(مصرف المغرب العربي للاستثمار والتجارة) والشركات المختلطة(مركب الألمنيوم).

د – مع موريتانيا: ذهب الدكتور، إلى أن العلاقات بين البلدين، في فترة الثمانينات أخذت الصبغة الاقتصادية بالدرجة الأولى، خاصة في قطاعات الصيد البحري والتنقيب عن الطاقة والمعادن وتكرير البترول. دون أن يعني ذلك حسبه، التقليل من التعاون الذي شمل الجوانب السياسية والثقافية والنقابية: انطلاقا من التزام كل طرف، بتنمية علاقات الصداقة والتعاون وحسن الجوار، خدمة لمصلحة البلدين والشعبين الجزائري والموريتاني.

5 – علاقات الجزائر مع بعض دول المشرق العربي:

أ – مع العراق: وصف الدكتور العلاقات الجزائرية العراقية، بالجيدة جدا منذ الاستقلال، بفعل المساعدات الهامة التي قدمها العراق للثورة الجزائرية، ودور الجزائر في رعاية اتفاقية 06 مارس 1975م – اتفاقية الجزائر– التي أنهت الصراع الحدودي بين العراق وإيران. وفي عهد الرئيس الشاذلي بن جديد، عرفت تطورا ملحوظا: تجسد في تبادل الزيارات الرئاسية، والتنسيق والتعاون والتشاور حول القضايا العربية والدولية خاصة وأن الجزائر: اتخذت موقفا محايدا من الحرب العراقية

الإيرانية (1980م-1988م، مع محاولتها التوسط لإنهائها، رغم الثمن الذي دفعته، باغتيال وزير خارجيتها **محمد الصديق بن يحي**، في 04 فيفري 1982م، بصروخ قيل أنه انطلق من طائرة عراقية.ورغم الفتور الذي تميزت به العلاقات بين البلدين، بعد هذه الحادثة،إلا أنها لم تتوقف،وظلت الجزائر متمسكة بمبدأ تعزيز علاقاتها مع العراق، في مجالات السياسة والاقتصاد ، و الثقافة، التعليم العالي و البحث العلمي و التربية والفنون.

ب- مع مصر:أطلق الباحث، على العلاقات الثنائية بين الجزائر ومصر، إبان حكم الشاذلي بن جديد، صفة السلبية، بسبب معاهدة **كامب ديفيد** التي وقعت بين مصر وإسرائيل عام 1979م. حيث رد عليها الرئيس الشاذلي بالدعوة إلى التصدي لها، وبتأكيده على رفضه لتلك الخطوة الاستسلامية، التي أقدم عليها النظام المصري. وقد ردت مصر على ذلك بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع الجزائر، التي شددت على ألا مشكلة لها مع مصر، عدا تلك الخطوة غير المقبولة في نظرها.ورغم ذلك واصلت مساعيها لإعادة العلاقات بين البلدين، إلى وضعها الطبيعي، وهو الذي حدث.

ج – مع سوريا: اعتبر الدكتور **البزاز**، العلاقات الجزائرية السورية، خلال الثمانينات من القرن الماضي بالمتميزة، على كافة الأصعدة.ففي الجانب السياسي، برز بشكل واضح التعاون والتشاور وتبادل الزيارات، بين قيادتي حزبي جبهة التحرير الوطني وحزب البعث العربي الاشتراكي السوري.

وكذلك الزيارات الرئاسية المتبادلة، بين الرئيسين **الشاذلي بن جديد** و**حافظ الأسد**، التي اهتمت بمناقشة مواضيع تهم البلدين، علاوة على الوضع العربي في ظل تطورات الصراع العربي الإسرائيلي، وسبل تعزيز العلاقات الثنائية.ولعل الملفت للانتباه، هو المستوى المتقدم الذي بلغه التنسيق والتعاون العسكري، بين الجيشين الجزائري والسوري. وفي هذا الصدد، بادرت الجزائر، إلى تدعيم سوريا بوحدات مقاتلة اشتملت على ألوية الطائرات المقاتلة من طراز ميغ 21 وميغ 27، وأسلحة ومعدات من أجل تعويض خسائر الجيش السوري في حربه مع

إسرائيل وتعزيز احتياطاته. كما لم تنقطع الوفود الرسمية عن زيارة عاصمتي البلدين، بتطوير التبادل العلمي والثقافي والتربوي، والتعليمي والسياحي والقضائي.

وهذا وقد لعبت الجزائر، دورا كبيرا، في صمود سوريا أمام إسرائيل، وفي تحسين العلاقات بين منظمة التحرير الفلسطينية وسوريا، وفي تحقيق الاستقرار في لبنان، من خلال علاقاتها الحميمة مع سوريا.

6 – علاقات الجزائر مع إيران: قسم الدكتور **البزاز**، مسار العلاقات بين الجزائر وإيران، إلى مرحلتين أساسيتين، الأولى كانت فيها العلاقات متميزة نظرا لدور الجزائر في توقيع معاهدة 1975م بين الدولتين الإيرانية والعراقية، ولاستضافة الجزائر لآية الله الخميني عام 1978م، بعد إبعاده من النجف بالعراق، وتأييدها لقيام الثورة الإسلامية في إيران عام 1979م، وقيامها برعاية المصالح الإيرانية في واشنطن بعد قطع العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1980م. ولدورها الكبير الذي لعبته الدبلوماسية الجزائرية، في الإفراج عن الرهائن الأمريكان في 04 نوفمبر 1979م، المحتجزين في السفارة الأمريكية بطهران.

غير أن هذا التناغم، سرعان ما عرف تحولا جذريا، حيث ساءت العلاقات بين البلدين إلى حد قطعها، بسبب التدخل الواضح لإيران في الشؤون الداخلية للجزائر، وتصميمها على المضي قدما في ذلك، مهما كان الثمن، رغم الاحتجاجات والمناشدات الجزائرية، غير مبالية بفقدانها لحليف استراتيجي في المنطقة المغاربية بحجم الجزائر.

7– علاقات الجزائر مع دول العالم الكبرى:

أ – **مع فرنسا:** استهل الدكتور **البزاز**، حديثه عن العلاقات الجزائرية الفرنسية، بالقول أنه لا يمكن على الإطلاق وصفها بالطبيعية، منذ حصول الجزائر على استقلالها عام 1962م، وحتى وفاة الرئيس **هواري بومدين** عام 1978م، حيث كانت تشهد حالة القطاع تارة وانفتاح تارة أخرى. ولما تولى الحكم الرئيس **بن جديد:** حاولت باريس تغيير هذا الوضع دون جدوى، بفعل وجود خلافات عميقة بين الطرفين تمثلت في الآتي:

- الخلاف بين شركة سوناطراك النفطية الجزائرية، وشركة غاز دوفرانس: حول أسعار الغاز الجزائري.
- الوضع القانوني، للمهاجرين الجزائريين في فرنسا.
- مسألة الأرشيف الاستعماري، الذي أخذته السلطات الفرنسية معها، بعد مغادرتها أرض الجزائر عام 1962م.

وقد عرفت العلاقات بين الدولتين تحسنا، بعد الالتزامات التي قدمتها كل منهما لمعالجة تلك الخلافات، وكذلك عقب الزيارة التي قام بها الرئيس **بن جديد** إلى باريس، والتي توجت بعقد اتفاقيات تعاون في المجالات الاقتصادية والصناعية والثقافية. لكن التوتر عاد من جديد إلى علاقات البلدين، بسبب جرائم القتل والأعمال العنصرية، التي كانت تستهدف العمال الجزائريين في فرنسا من ناحية، وقيام التلفزيون الجزائري بعرض شريط عن مرحلة الاستعمار الفرنسي، تضمن في جزء منه صورا لـ 150 مجاهدا جزائريا، من السجناء الذي قيدوا في مكان أول تفجير نووي فرنسي بصحراء الجزائر، ليكونوا نماذج لاختبار تأثيرات التجارب على جسم الإنسان، من ناحية أخرى. وقد أحدث ذلك، ضجة عنيفة في الأوساط الرسمية والسياسية الفرنسية، التي ردت بالنفي والتكذيب، وإظهار امتعاضها الشديد مما اعتبرته تهما باطلة.

وقد تدهورت العلاقات بين الطرفين أيضا، بسبب الزيارة التي قادت الرئيس **بن جديد** إلى الولايات المتحدة الأمريكية، التي لم تكن آنذاك على ود مع فرنسا. هذه الأخيرة ردت عليها، بإعلان استعدادها للتعاون مع المغرب في كل المجالات. فكان لهذا التدهور، انعكاسات سلبية على الاتفاقيات الاقتصادية، الموقعة بين الدولتين.

ب – مع الولايات المتحدة الأمريكية: اعتبر الدكتور **البزاز**، مجيء **بن جديد** إلى رئاسة الجمهورية الجزائرية، بداية عهد جديد في العلاقات بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية، مهدت له الطريق، الوساطة التي قامت بها الجزائر، في قضية الرهائن الأمريكيين، التي سبق وأن أشرنا إليها.

دون أن يعني ذلك أن العلاقات بينهما، لم تكن حسنة وطيبة قبل سنة 1979م، وإنما لم تكن في المستوى المطلوب، لأن الولايات المتحدة كانت تنظر بعين القلق إلى الجزائر، بفعل الدور السياسي الذي كان يقوم به الرئيس **هواري بومدين**، على الأصعدة الأفريقية و الدولية، ومناهضته للدعم الأمريكي لإسرائيل.

وقد تعززت العلاقات الثنائية بينهما أكثر، بعد زيارة الرئيس **بن جديد** لواشنطن عام 1985م، واستقباله من قبل الرئيس **رونالد ريغان**.وكان من نتائجها توقيع الجانبين، على اتفاقية للتعاون في المجال العسكري.كما استمرت الشركات الأمريكية، في شراء الغاز الجزائري، رغم الخلافات الحادة حول أسعاره،التي كانت الجزائر تطالب بمراجعتها، تبعا لارتفاعها في الأسواق الدولية.

ت – مع الاتحاد السوفيتي:توصل الباحث، إلى أن العلاقات المتميزة التي كانت تربط الجزائر بالاتحاد السوفيتي، خلال ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، وكان من مظاهرها التنسيق السياسي، التعاون الاقتصادي والعلمي والفني والصحي والعسكري الرفيع. فقد عرفت تغييرا نوعيا، إثر وفاة الرئيس **هواري بومدين** الاشتراكي، واستخلافه من قبل الشاذلي بن جديد ذو التوجه الليبرالي، ومؤشر ذلك زيارة هذا الأخير إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1985م، وسعيه إلى تحسين علاقات الجزائر مع فرنسا.الأمر الذي زرع الخوف لدى السوفييت في أن يفقدوا، حليفهم الوحيد في الشمال الإفريقي.

8 – ملاحظات واستنتاجات:بناء على ما قدمه، الباحث الدكتور **سعد توفيق عبد الله البزاز**، في أطروحته بصورة عامة، وحول علاقات الجزائر الخارجية، في فترة حكم الرئيس **الشاذلي بن جديد** بصورة خاصة، نسجل الملاحظات والاستنتاجات الآتية:

– بالرغم من بعض النقائص، التي لا يخلو منها أي بحث علمي وأكاديمي، إلا أنها تمثل برأينا، إنجازا يستحق الثناء والتقدير، حيث أبان من خلالها الباحث عن تحكم جيد في موضوع الدراسة منهجيا ومعرفيا.

– أن الباحث، لم يخصص فصلا أو على الأقل مبحثا، يتناول فيه بتوسع مختلف أطوار حياة الرئيس **الشاذلي بن جديد**، وكذلك البيئة الجغرافية والاجتماعية والثقافية والسياسية، التي ولد ونشأ فيها لما لهما من أهمية بالغة، في فهم شخصيته، وفلسفته في الحكم، ونظرته إلى القضايا التي عالجها، والأحداث التي تعامل معها، والقرارات التي اتخذها، طيلة مدة حكمه للبلاد، التي ناهزت ثلاثة عشر سنة.

– حاجة البحث إلى مادة خبرية أرشيفية، تكون مكملة للمادة التي وظفها الباحث، لكنها أساسية، في كل العناصر التي تطرق إليها.لا تتوفر إلا في دوائر وزارات (الاقتصاد، الزراعة، الصناعة، التجارة، الثقافة، التربية والتعليم العالي، الخارجية...) في الجزائر.

– لم يتمكن الباحث، من إبراز شخصية الرئيس الشاذلي بن جديد وبصماته، على نحو واضح، في التحولات الداخلية والخارجية، التي عرفتها البلاد في عهده، حيث ظهر جليا تركيزه على تأثير العوامل السياسية والاقتصادية والدولية، في رسم أوضاع البلاد داخليا وخارجيا، عدا إشارة بسيطة أثناء حديثه عن التغيير في العلاقات مع الاتحاد السوفيتي، والاتجاه نحو الدول الغربية، لما أوعز ذلك إلى النزعة الليبرالية للرجل.

– من العناصر الغائبة في البحث، الشخصية الإنسانية التي عرف الرئيس **بن جديد**، التي لا يمكن تجاهل دورها، في تحديد معالم نظرته للقضايا الاجتماعية داخليا والدولية خارجيا.

– يستشف مما قدم، أن السياسة الخارجية للجزائر بقيادة الرئيس **بن جديد**، وإن عرفت بعض التعديل، إلا أنها حافظت على جوهرها، الذي تميزت به منذ الاستقلال، ولا تزال إلى غاية الآن،وهو أمر حقيقي، لأن فلسفة الجزائر في هذا المضمار، ثابتة لأنها خاضعة للمبادئ وليس لتغير المصالح أو المستجدات، كما هو واضح في موقفها الثابت من القضية الفلسطينية، والتزامها التام بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول...وغيرها.

- صعوبة إعطاء أحكام مطلقة، على بعض المسائل، كالعلاقات الجزائرية المغربية، أو العلاقة الجزائرية الفرنسية، دون وضعها في إطارها الجغرافي والتاريخي والدولي.

- الأمل في أن يستفيد الدكتور **البزاز**، في تطوير عمله هذا، من الجزء الأول من مذكرات الرئيس الشاذلي بن جديد، التي نشرت بعد وفاته في خريف 1912م، ومن الجزء الثاني الذي قد ينشر في الآجال القريبة.

- دعوة المؤرخين، والباحثين الجزائريين في شتى الحقول المعرفية والفكرية، إلا الاهتمام بالبحث والدراسة لمرحلة ما بعد الاستقلال، التي لم تنل حقها لغاية الآن.

مساعي الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد لحل أزمة الخليج

د. عبد الحميد خالدي

-جامعة الجزائر 2-

ان الجزائر انطلاقا من المبادئ التي اتسمت بها سياستها الخارجية في المجالين الاقليمي والدولي في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد، ما كان لها لتغض الطرف عما جرى ويجري بمنطقة الخليج، فبالأمس القريب كانت احد اطراف المجتمع الدولي الاكثر جلدا واستماتة في مسعاها لتجاوز محنة حرب العراق – ايران البائسة (1980-1986)، وقد كلفها ذلك غاليا حين تحطمت طائرة وزير خارجيتها السيد محمد الصديق بن يحي الدبلوماسي المحنك، بأجواء الخصمين(1982) ،ورغم ذلك وقفت الجزائر الموقف نفسه في أزمة العراق-الكويت التي تفجرت في 2 أوت 1990 وأخذت منعرجات خطيرة تنذر بحرب لا تعصف بالمنطقة وحدها لكن بالمجتمع الدولي قاطبة، هذه نظرة الدبلوماسية الجزائرية الهادئة في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد.

بادرت الدبلوماسية الجزائرية فور الاعلان عن اكتساح الجيش العراقي لأراضي الكويت، الى التصريح باستنكارها الشديد لهذا الاجتياح المفاجئ، واعتبرت العمل العسكري الذي قام به العراق ضد الكويت ضربا من ضروب استعراض العضلات، والتطاول على المواثيق الدولية والشرعية الأممية وذلك مهما كانت مبررات هذا الاكتساح ودواعيه السياسية وبعده الاقتصادي في النظرة الخلفية الضيقة للقيادة العراقية.

الجزائر اذ عمدت الى اتخاذ مثل هذا الموقف فإنها تؤمن بجملة من المعطيات السياسية التي تحكم العلاقات ما بين اعضاء المجتمع الدولي، والتي لا ينبغي بحال من الاحوال القفز عليها أو تجاهلها من هذا الطرف أو ذاك سيما اذا تعلق الامر بالبلدان العربية التي بحكم ظروفها التاريخية وضروراتها الاقتصادية والسياسية مدعاة لتوحيد الكلمة وتعبئة الطاقات، فيما يرفع عنها التحدي المفروض.

إن الجزائر من خلال دبلوماسيتها في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد ترى ضرورة الاستفادة من جميع الامكانيات السلمية المتاحة في اي مداخلة بين مصالح اعضاء المجتمع

الدولي، فبالحوار والتفاوض والاحتكام الى العقل تذوب اكوام الجليد التي قد تتراكم في طريق هذين البلدين أو تلك البلدان، فتعود علاقاتها الى طبيعتها الاولى، دون ان يتطلب الامر ثمن حرب آخرها مآسي ومحن، تصيب المنتصر والمنهزم معا، وإن بدرجات متفاوتة.

وإذا كان هذا هو موقف الجزائر من النزاعات الدولية في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد، فان هذا الموقف ينسكب بصفة أخص على العلاقات العربية.

وعملت الجزائر على اكثر من صعيد وفي مناسبات شتى لتقريب وجهات النظر بين الأشقاء، حتى أن بعض الخبراء السياسيين يصف السياسة الخارجية للجزائر في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد بسياسة إطفاء الحرائق.

والجزائر إذ تحرص على سلامة العلاقات العربية، فهي تسعى إلى توفير المناخ الملائم للتطور وللتكتل لربح معركة التحدي ضد التخلف وضد الصهيونية، العدو الرئيسي لكل الامة الاسلامية والعربية، وهي في هذا المجال لا تمانع إن توحد بلد عربي أو أكثر ببلد عربي آخر وإنما تنحو هذا المنحى وتدعو له، ولا تشترط لذلك سوى أن يكون التوحيد بناء على أسس موضوعية تعطيها طابع الديمومة وتجنبها الانزلاق، كما حدث أكثر من مرة في التاريخ العربي المعاصر، ومن هذا المنطلق فإن الجزائر كانت تبارك توحيد الكويت والعراق، لو أن هذا التوحد جاء كإنجاز حضاري ونتاج مشاورات ودراسات بين البلدين الشقيقين، على غرار ما حدث في كل من الألمانيتين واليمنيتين، ولكن وبما أنه توحد قصري وبالقوة من طرف العراق فقد عارضته الجزائر كما عارضته المجموعة الدولية، وإن اختلفت السبل في ذلك لأن القضية لم تبق قضية العراق- الكويت وانما اضحت ذات ابعاد اخرى تباينت ازاءها المواقف الدولية بحسب المصلحة وبحسب الولاء.

المتتبع للنشاطات الدبلوماسية الجزائرية في عهد الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد بخصوص أزمة الخليج الثانية،يلاحظ من دون عناء أن الجزائر لم تؤيد الطرف العراقي في اكتساح الكويت، وهي تناصر فكرة تسوية نزاع الاشقاء في الاطار العربي وترى أنّ كل محاولة لإبعاد القضية عن هذا الاطار الطبيعي لها، هو من قبل المساس بمواثيق الجامعة العربية والإساءة لمشروع الوحدة العربية الذي خطى في السنوات الاخيرة من الثمانينات بعض الخطوات في الاتجاه الصحيح عكس اليوم.

وإذا كان الاطار الملائم لفك ملابسات الازمة وتذليل عقباتها هو البيت العربي، فان الدبلوماسية الجزائرية في عهد الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد،ترى بأنّ هذا البيت لم تتح له الفرصة الكافية للتكفل بالأزمة، حيث ان القمة الطارئة لجامعة الدول العربية التي انعقدت بالقاهرة فور اجتياح الجيش العراقي للكويت، بدت وكأنها تمثيل لسيناريو اعد مسبقا وقد ابتعدت بذلك عن النهج المتعارف عليه واضحى المؤتمرون فيها وكأنهم في درس إملاء، يكتبون ما يطلب منهم ليس إلا.

وهو ما لم تستسغه الدبلوماسية الجزائرية وعلى رأسها الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد، التي التزمت الصمت اثناء التصويت على لائحة ايفاد قوات عربية الى المنطقة للتصدي لجيش العراق، وهذا الموقف الذي وصفه البعض باللاثورية، وقال عنه آخرون بأنه سلبي، ويرى فيه البعض الاخر أنه رأس الحكمة لاعتبارات نوجز الحديث عنها فيما يلي:

- التصويت ضد اللائحة يعني مساندة العراق في غزوه للكويت، وهذا على ما فيه من خرق للاتفاقيات والقوانين الدولية يتعارض مع مفهوم الجزائر وقناعتها بخصوص نوعية العلاقات ما بين البلدان العربية، التي ينبغي ان تقوم على اساس التعاون والتكامل لإرساء دعائم وحدة اختيارية، تكون خيرا على الامة العربية، ولا تكون وبالا عليها، هذه هي النظرة الدبلوماسية الجزائرية في عهد الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد.
- التصويت لصالح اللائحة يعني مجارات القمة في تأييد المنحى الخطير التي اعتزمت اقحام المنطقة فيه، وبغض النظر عن الملابسات التي احاطت اشغال المؤتمر، فان انعقاد القمة كان في ظرف اتسم ببدء التدخل الفعلي للأمريكان في المنطقة، كمؤشر لتدويل الأزمة وبدت اللائحة وكأنها تدعو البلدان العربية الى ارسال قواتها العسكرية الى الخليج لتعمل تحت امرة القيادة العسكرية الامريكية، لكسر شوكة الجيش العراقي.
- التصويت على اللائحة يعني على صعيد آخر اعتماد الخيار العسكري دون اعمال العقل في الخيارات الاخرى، التي قد تنهي الازمة دون الحاجة الى حرب تبدد طاقات الامة وتحطم قدراتها.
- التصويت على اللائحة أو ضدها معناه اخلاء الساحة السياسية للوطن العربي من كل وساطة من شأنها رأب الصدع بين الفرقاء وإيجاد الحلول الملائمة للأزمة.

- وعلى اساس هذه الاعتبارات فان موقف الدبلوماسية الجزائرية من ازمة الخليج في عهد الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد ، على ما فيه من مرونة ربما لا ترضي لا هذا الطرف ولا ذاك، فهو على صعيد آخر (أي الموقف) يتيح للجزائر امكانية كبيرة للعب دور الوسيط لإنهاء الازمة بالطرق السلمية، وهو ما سعت الدبلوماسية الجزائرية طوال الازمة على انجازه بطرق شتى الرسمية منها وغير الرسمية. ومثال ذلك الاتصالات التي ما انفك رجال الدبلوماسية وعناصر اللجنة البرلمانية ورؤساء الاحزاب السياسية يقومون بها مع سلطات العاصمتين الرياض وبغداد، في محاولة لنزع فتيل الحرب وأيضا لحرمان الكيان الصهيوني من فرصة تدمير المنطقة التي طالما كان يحلم بها.
- وفي هذا الاطار سعت الجزائر الى قمة ثلاثية انعقدت يوم 19و20 سبتمبر 1990م بالعاصمة المغربية الرباط، والتي جمعت الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد بالعاهلين المغربي (الحسن الثاني) والاردني(الملك حسين) رحمهم الله جميعا، وهي القمة التي سمحت بتبادل وجهات النظر حول افق التسوية بين الشقيقتين العراق والكويت واستهدفت الحلول دون الخيار العسكري لحل الازمة.
- وجددت القمة استنكارها لغزو الكويت وعبرت عن رفضها لأي عمل عسكري في حل الازمة، وأبدت اسفها عن الحصار المفروض على الشعب العراقي، وكانت القمة الثلاثية قد اقترحت وضع جدول زمني لانسحاب كل من الجيشين العراق والامريكي من المنطقة، كما ان بعض التوقعات تذهب الى ان المشروع يسبق انسحاب الجيش الامريكي شريطة ان يتعهد العراق بالانسحاب بعد ذلك.
- كما هو معروف ان فلسفة الدبلوماسية الجزائرية مبنية على شعار محتواه ان السياسة الخارجية هي انعكاس للموقف الداخلي، ولذلك كان الموقف الشعبي الجزائري من ازمة الخليج الثانية في الجزائر لا يختلف كثيرا عن الموقف الرسمي للدبلوماسية الجزائرية: نقول ذلك من منطلق معايشتنا لأحداث الشارع ومن موقع الاطلاع على آراء بعض المواطنين من الازمة في بعض المدن الجزائرية ومن خلال ما كتبته الصحافة الوطنية والحزبية ومن خلال التظاهرات الشعبية التي نظمتها بعض الاحزاب السياسية بخصوص الازمة.

حقيقة إن الشعب الجزائري يكره الظلم والعدوان والحقرة والتوسع على مر تاريخه، وبذلك نزل عليه نبأ 2 اوت 1990 نبأ اكتساح الجيش العراقي للكويت كالصاعقة. ولم يهضم أبدا فكرة غزو بلد عربي لبلد عربي آخر في ظرف يقال عنه انه متسم اكثر من اي وقت مضى بوفاق عربي، كان المفروض ان يتمخض عن عمل وحدوي أو اجراء تكاملي كما جرى في اليمنيتين العربيتين، لا ان يسفر عن غزوة عربية قد تعيد المسار الوحدوي للوطن العربي الى نقطة الصفر.

هذا الشعور القومي الخالص الذي رافقه تعاطف مع البلد الصغير والوديع الكويت سرعان ما تحول الى شعور مركب ومعقد يصعب تحديد طبيعته وذلك بفعل المنعرج الحاد الذي اتخذته الازمة وهو المنعرج الذي انكشفت فيه الاوراق الخفية في اللعبة الدولية بمنطقة الخليج.

أدرك المواطن الجزائري البسيط ان ارباب البترودولار، ببلدان الخليج أحدثهم البراغماتية فهم يعودوا يحيرون كبير اهتمام لقضايا امتهم بعد أن أسسوا كيانا موازيا لجامعة الدول العربية قبل غزو العراق للكويت (مجلس التعاون الخليجي): مستثنى منه العراق رغم انه دولة خليجية، ولا داعي للحديث عن هذا الموضوع في هذا المجال احتراما للمنهجية. في هذا الاتجاه السلمي للأزمة كانت الزيارة التي قام بها الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد في الفترة ما بين 11-19 ديسمبر 1990 الى العديد من البلدان الشقيقة والصديقة في منطقتي المغرب العربي والشرق الاوسط في محاولة منه لفك طلاسم المعضلة ونزع اللغم الذي سيؤدي انفجاره الى ما لا يحمد عقباه على الصعيدين الاقليمي والدولي، ثم تلتها جولة ثانية الى خمس عواصم غربية ومتوسطية لذات الهدف.

باشر الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد جولته الاولى التي دامت ثمانية ايام كاملة بحثا عن السلام المفقود في منطقة عزيزة من وطننا العربي، اجرى مفاوضات هاتفية مع نظرائه من رؤساء وملوك بلدان اتحاد المغرب العربي للتشاور وتبادل وجهات نظر الفرقاء باعتباره رئيس الاتحاد وله مسؤولية يمليها عليه الواجب الثوري لرأب الصدع بين الاشقاء.

الزيارة قادت الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد والوفد الهام المرافق له الى كل من: الأردن، العراق، ايران، سلطنة عمان، سوريا، لبنان، مصر، ليبيا وتونس، فالرئيس حاول في جولته الماراطونية ان يقتفي كل أثر من شأنه الافضاء به الى مفتاح حل معضلة الخليج الضائع في

متاهات سياسات متشنجة، قد تجلب الوبال لكل المنطقة العربية الاسلامية ان لم تتظافر الجهود الدبلوماسية المخلصة وقد كان المراقبون عشية الزيارة يعلقون آمالا كبيرة على هذا المسعى الجزائري الذي يستند على مجموعة من المؤشرات ذات الدلالة على اهميته وإيجابياته منها:

- الموقف المعتدل والمتزن للجزائر من الازمة منذ نشوبها والذي يجعل منها وسيطا مقبولا.
- مكانة الجزائر كبلد يرأس بلدان الاتحاد المغاربي ويمثلها في هذه المهمة.
- القنوات الدبلوماسية للجزائر التي ضنت ولا تزال مفتوحة على جميع اطراف النزاع.
- الزيارات التي قامت بها عدة وفود عربية للجزائر منها: الوفد السعودي والوفد البرلماني الكويتي.
- الحديث الذي دار عن تحضير قمة عربية لاستعادة العرب المبادرة في ازمة تخص امتهم العربية، وكذا الحديث عن مبادرة اوروبية تستهدف فتح حوار اوروبي عراقي مباشر.

وباختصار فان كل المؤشرات عشية حلول رئيس الجمهورية بالعاصمة الاردنية المحطة الاولى في زيارته كانت توحي بالنتائج الايجابية التي ستسفر عنها هذه الزيارة، غير انه في هذه الاثناء وقع ما لم يكن في الحسبان حيث اندلعت من جديد الازمة السياسية بين بغداد وواشنطن حول المفاوضات المباشرة التي كانت الادارة الامريكية قد اقترحتها وكانت بغداد قد رحبت بها في حينها، وذلك بسبب عدم اتفاق الطرفين على موعد لقاء (صدام-بيكر وبوش الأب – طارق عزيز) وقد صاحب هذه الحرب النفسية الممتدة بين العاصمتين نشاط عسكري حثيث في البلدين، فاستدعاء الاحتياط البشري العسكري في العراق وتهيئة المراكز الصحية لاستقبال الجرحى في الولايات المتحدة الامريكية ثم الاستعدادات على جبهتي القتال وتصاعد لغة التهديد والوعيد كل ذلك من شانه ان يضفي على المسعى السلمي للرئيس الراحل الشاذلي بن جديد طابعا خاصا تتشابك فيه خيوط التفاؤل والتشاؤم معا في محاولته المخلصة لنزع فتيل الحرب وتفويت الفرصة على الاعداء لدحض الامة العربية والإجهاز على قوتها المتنامية.

بات واضحا من خلال تطور الاحداث السياسية بالخليج في الاتجاه المعاكس للتفاوض السلمي الذي ازمع الرئيس الجزائري دفعه للأمام. ان الأزمة تجاوزت في ابعادها الاطراف العربية التي اضحت مجرد اطراف لا تختلف عن غيرها من البلدان في التأثير على الاطراف وتوجيهها الوجهة السلمية المطلوبة وكأن الصراع لم يعد بين اطراف عربية وإنما هو

صراع امريكي –عراقي، وبالتالي فان المبادرة بحل المعضلة لا تكون بالضرورة عربية وإنما تبقى مفتوحة امام كل المساعي الدولية والمنظمات الإقليمية وهو ما اشار اليه الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد في العديد من تصريحاته الصحفية بالعواصم التي حل بها والتي يستشف منها المراقبون صعوبة مهمته في البحث عن مفتاح الازمة الضائع بين طرق ملتوية ودروب متشعبة ومتشابكة تمتد من الخليج لتنتهي بأصدقاء اخرى من العالم.

صحيح ان المحادثات السياسية التي اجراها الرئيس مع نظرائه في البلدان التي حل بها لم تكن حاوية الوفاق كما يحلو للبعض ان يقول، فقد كانت اسهاما جزائريا في دفع عجلة السلام وإبعاد شبح الحرب من المنطقة وأتاحت الفرصة للتشاور والتحاور وتبادل الرؤى حول عديد من المسائل وسجلت تطابق في وجهات النظر بخصوص بعض جوانب المعضلة الخليجية وبقيت بعض الجوانب الاخرى محل اختلاف الفرقاء وأيضا محل اختلاف مع الموقف الجزائري الثابت منذ اندلاع الأزمة ولكن الدبلوماسية الجزائرية التي لم يخف عنها كل ذلك،تكون في تعاملها مع الازمة ومن خلال مساعيها الحميدة مع جل اطرافها قد قامت بعملية جس النبض، مما يتيح لها امكانية مواصلة الجهد لحماية السلام في الخليج، وهو ما اعلن عنه الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد عند عودته الى البلاد، حيث صرح انه سوف يشرع في وقت قريب في زيارة لبعض العواصم العربية والأوروبية في جولته الاولى الشرق اوسطية، ولنفس الغرض والغاية كما اكد على أن حظوظ التفاؤل بالحل السلمي لا تزال قائمة رغم ما يعترضها من صعوبات، وابدى استعداد الجزائر لبذل ما تراه مناسبا لإذابة اكوام الجليد المتراكمة على طريق الفرقاء الاشقاء.

لم تكن جولة الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد الشرق اوسطية التي قادته الى اطراف مباشرين وغير مباشرين في ازمة الخليج احادية البعد في تعامله ولقاءاته مع هذه الأطراف فقد كان للمسألة اللبنانية ولقضية الشعب الفلسطيني حضور في محادثاته مع نظرائه في البلدان التي زارها، وهو ما يعكس بذلك موقف الدبلوماسية الراسخ ورؤية الشعب الجزائري لطبيعة الصراع الدائر في منطقة الشرق الاوسط، لأن القضية ليست قضية ضم أو احتلال الكويت فحسب، وإنما هناك قضايا اخرى اخذت تتآكل بفعل الزمن مثل القضية الفلسطينية.

لم تتوقف الجهود الدبلوماسية للجزائر بإنهاء جولة الرئيس الثانية ولكن الجهود الدبلوماسية تواصلت في اتجاهات شتى بحثا عن السلام في جميع انحاء العالم من اجل البحث عن اسباب الحل السلمي، ورمت الدبلوماسية الجزائرية في هذه المرحلة بكل ثقلها لتجنيد المجموعة الدولية حول تقليص الهوة بين اطراف النزاع.

والتاريخ سيسجل للجزائر في عهد الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد وفاؤه للالتزام القومي العربي ودفاعها عن المصلحة العليا للأمة وهذا ما كان يسعى اليه الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد، طبقا لما جاء في خطابه الذي القاه في 23 جانفي 1991 أمام نواب الامة، استعرض فيه مساعيه الشاملة التي قام بها واستعرض ايضا الظروف العصيبة التي تمر بها الامة في تلك المرحلة، وابرز الجهود التي بذلتها الجزائر لتلطيف الاجواء العربية قبل دخول القوات الغربية الى الكويت، كما تطرق الى مؤتمر القمة بالقاهرة وذكّر بالتحفظات الجزائرية.

وانطلاقا من مبدأ جمع الشمل العربي الذي اصابته التفرقة، فبدأت المساعي الجزائرية تجاه الرؤساء والملوك العرب وأطراف أخرى محاولة لتقريب وجهات النظر حول الازمة، ومما ذكره رئيس الجمهورية في خطابه ان هدف الدبلوماسية الجزائرية هو تفويت الفرصة على اعداء الأمة لان الجزائر كانت تعلم حسب استنتاجه ان الترسانة العسكرية التي جندت وجمعت في منطقة الخليج ليست من اجل عيون الكويت وما هذه الاخيرة سوى ذريعة لتحطيم العراق .

وأورد رئيس الجمهورية الراحل الشاذلي بن جديد في خطابه الذي قدمه للامة بان الازمة مؤامرة قديمة اراد بها الغرب والصهيونية تحطيم الامة العربية، ولم تنتبه القيادة العراقية لذلك، وهي مؤامرة قديمة ايضا ذات بعد حضاري واقتصادي، وأكد نفس المعطيات التقليدية للدبلوماسية الجزائرية في خطابه ايضا الذي قدمه في 23 فيفري 1991، والذي قدمه في الندوة الوطنية الثانية للقضاة.

صفوة القول، نرى بأن الدبلوماسية الجزائرية كانت متميزة في عهد الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد بالموضوعية والواقعية والفاعلية من حيث الهدف والالتزام بالمواثيق الدولية فيما يتعلق بالقضايا القومية والدولية وكعينة على ذلك الانتصار الفاعل لهذه الدبلوماسية في قضية تحرير الرهائن الامريكيين من السفارة في ايران، وهذا يدل على مصداقية الجزائر في موقفها ايضا العادل والثابت اتجاه الحرب العراقية الايرانية التي اندلعت عام 1980

وانتهت في عام 1986، وكان موقف الجزائر ثابتا اتجاهها منذ البداية الى النهاية، ولو أن أطراف النزاع أصغوا لأفكاري الدبلوماسية الجزائرية لما خسرت الامة هذه الامكانيات البشرية والمادية عندما عادوا الى النقطة التي انطلقت منها الدبلوماسية الجزائرية، وكانت نتائج الحرب الايرانية العراقية كمؤشر حقيقي لازمة الخليج الثانية في عام 1990. وهذا ما نبهت اليه ايضا الدبلوماسية الجزائرية في عهد الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد.

قراءة لكتاب الجزائر في عهد الشاذلي بن جديد 1979-1992 التحولات الداخلية والخارجية وأثرها في العلاقات الدولية، لباحث من العراق[1]

أ/ لخضر بوطبة

جامعة سطيف 2

مقدمة:

تعود قصة هذا الكتاب إلى شهر جويلية 2012 حين التقينا بالأستاذ سعد توفيق عبد الله البزاز من العراق الشقيق في جامعة آل البيت بالمفرق شمال المملكة الأردنية الهاشمية بمناسبة انعقاد ملتقى التواصل الحضاري العماني المغاربي حول سليمان باشا الباروني، الذي كان لنا شرف المشاركة في فعالياته ؛ وبعد التعارف والمناقشة سألناه عن أحوال العراق وشعبه، وتناقشنا في شؤون ثقافية تتعلق بالبحث الجامعي، وسألنا عن الجزائر وأخبارها وتبادلنا أطراف الحديث فأخبرنا أنه أعد أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه موضوعها :"الجزائر في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد..." وأهدى لنا مشكورا نسخة من الكتاب وكنت متشوقا جدا للإطلاع على محتواه، لكن مدة بقائي القصيرة في الأردن وانشغالي بأشغال الملتقى حال دون ذلك، وبعد العودة إلى أرض الوطن مباشرة وقرأته فبادرت إلى ذهني فكرة تلخيص محتوياته أو إعداد قراءة له قصد التعريف به في الجزائر من جهة وإبراز مكانة الجزائر لدى الأشقاء العرب الذين لا يزالون يكنون لها الاحترام، والتقدير منذ أن كان شعبها يقارع الاستعمار الغاشم إلى ما بعد الاستقلال. وذكر الباحث أن من العوامل التي دفعته للبحث في هذا الموضوع البكر رغم الصعوبات التي تحيط به، حبه وإعجابه بالجزائر التي ضربت ثورتها المجيدة أروع الأمثلة في محاربة الاستعمار، ودعم

---

[1]- الدكتور سعد توفيق عبد الله البزاز: الجزائر في عهد الشاذلي بن جديد 1979-1992- التحولات الداخلية والخارجية وأثرها في العلاقات الدولية، دار إيلة للنشر والتوزيع، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية. 2010.

الحركات التحررية في العالم الثالث، وأعرب لنا عن رغبته الشديدة في زيارة الجزائر إلا أن الظروف التي كان يمر بها العراق لم تتح له الفرصة لزيارتها.

يحتوي الكتاب على 416 صفحة وهو يتألف من مقدمة وستة فصول وخاتمة وملاحق وقائمة المصادر والمراجع.

أشار الكاتب في المقدمة إلى أهمية دراسة الجزائر في عهد الشاذلي بن جديد الذي يمتد من سنة 1979 وهي لتي توفي فيها الرئيس هواري بومدين إلى سنة 1992 حيث قدم الرئيس بن جديد استقالته من منصب رئاسة الجمهورية، وأرجع الكاتب أهمية هذا الموضوع إلى تاريخ الجزائر من خلال ثورتها التحريرية، التي كللت بالاستقلال وكان لهذه الثورة دورها الفعال في دعم الثورات التحررية في العالم كما لعبت الجزائر بعد استقلالها دورا بارزا على الصعيدين العربي والإقليمي والدولي، ونبه كذلك إلى الهدف من هذه الدراسة الذي أرجعه إلى أهمية الحقبة التي حكم فيها الرئيس بن جديد، وإلى كون الدراسات في منطقة الشرق العربي حول الجزائر في هذه الفترة قليلة جدا، وما يوجد من مؤلفات ومقالات لا ترقى إلى البحث الشامل لجميع جوانب الموضوع وعمقه. وعرض ملخص عن الفصول الستة ومضامينها، وأشار إلى المصادر والمراجع العديدة والمتنوعة التي أثرت الموضوع وأغنته رغم الصعوبات التي واجهته في الوصول إلى المصادر غير المنشورة وأرجع ذلك إلى حداثة الموضوع وسريته في بعض جوانبه وإلى أن الأشخاص الذين تم التحدث عنهم في الكتاب لا يزالون على قيد الحياة، ونوه ببعض المذكرات الشخصية التي أعانته في بحثه ولا سيما مذكرات الرئيس الأسبق أحمد بن بلة وشهادته على العصر في قناة الجزيرة الفضائية.

عرض محتوى فصول الكتاب:

بعد المقدمة شرع الكاتب في عرض محتوى فصول الكتاب، فجاء **الفصل الأول يحمل عنوان التطورات السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية**، وقد افتتح هذا الفصل بالإشارة إلى التحولات السياسية والإدارية من خلال الحديث بشكل موجز عن استقلال الجزائر، بعد حربها ضد المستعمر الفرنسي الذي جثم على أرضها زهاء 132 سنة حيث عرضت فرنسا الاستفتاء على الشعب الجزائري الذي اختار الاستقلال في 1 جويلية 1962، وبعدها شرع في تأسيس مؤسسات الدولة وانتخب أحمد بن بلة رئيسا

للجمهورية، وأشار إلى الخلاف الذي نشب بين الإخوة، وبداية ظهور المعارضة السياسية من طرف محمد بوضياف الذي أسس بالمغرب حزب الثورة الاشتراكية، وحسين آيت أحمد الذي أسس جبهة القوى الاشتراكية سنة 1963، وتميزت هذه الفترة ببداية الصراع في الجزائر الذي يرجعه الكاتب إلى الصراع الإيديولوجي بين التيار العربي الإسلامي والتيار الاشتراكي، وتطرق بإيجاز إلى قيام الرئيس بن بلة بإبعاد خصومه من طريقه. إلى أن يصل إلى 19 جوان 1965 حيث الانقلاب العسكري على الرئيس بن بلة ووصول هواري بومدين إلى السلطة وشروعه في حركة تغيير، وأعلن أن حزب جبهة التحرير الوطني هي الحزب الوحيد القابض على دواليب الحكم والسلطة في البلاد.

وفي التحولات الإدارية أشار إلى الصعوبات والمشاكل الإدارية التي واجهتها الدولة الجزائرية بعد الاستقلال، منها مشاكل موروثة عن الفترة الاستعمارية الطويلة ومنها ما كان بسبب مغادرة الإطارات الأوروبية الجزائر، فكان على الدولة البحث عن حلول عاجلة لهذه المشاكل من خلال الشروع في تكوين الإطارات الوطنية، والاعتماد على الطاقات المحلية، وتبني مشروع تعريب الجهاز الإداري. وأما التحولات الاقتصادية فقد تطرق فيها إلى الصعوبات الاقتصادية التي وجدت الدولة الجزائرية نفسها وجها لوجه معها لاسيما منها مغادرة المعمرين وفرار الأقلية الأوروبية، ومن هذه المشاكل توقف عجلة الاقتصاد نتيجة توقف شبه التام للإنتاج الزراعي والصناعي مما كان له الأثر السيئ على النشاطات الأخرى، كقطاع الخدمات والتجارة، وزادت مهمة توفير حاجات السكان الاقتصادية والاجتماعية من صعوبة المهمة فانتهجت الدولة النهج الاشتراكي كخيار، وأطلقت الثورة الزراعية بغية التغلب على الصعاب والعراقيل كما أطلقت عمليات التأميم التي كانت تحديا كبيرا في هذا الظرف العصيب. وفي كلامه عن التحولات الثقافية يقول أن الدولة الجزائرية رفعت شعار الثورة الثقافية للقيام بالتحولات الكبرى على المستوى التعليمي خاصة إذ خرج الشعب الجزائري من فترة استعمار عمل خلالها على نشر الجهل وطمس معالم الهوية الجزائرية، فجاء التعريب كحتمية ضرورية اقتضتها الظروف الراهنة حينذاك، واستعانت الدولة بالإطارات العربية لتغطية العجز في التأطير المدرسي على الخصوص.

وأما **الفصل الثاني** فقد جاء تحت عنوان **التحولات السياسية والدستورية** وتناول فيه بالدراسة أوضاع الجزائر السياسية من سنة 1979 إلى سنة 1992، بدأها بالحديث عن الظروف التي اعتلى فيها الشاذلي بن جديد السلطة وذكر أن دعم المؤسسة العسكرية له كان له الفضل في توليه هذا المنصب لأنه لم يكن معروف لدى الشعب الجزائري كما أنه لم يلعب دورا كبيرا إبان الثورة التحريرية، وأشار إلى الشخصيات التي نافسته في تولي هذا المنصب، وذلك دون الدخول في ملابسات وظروف وفاة الرئيس هواري بومدين، بعد ذلك قدم لنا الباحث لمحة وجيزة عن شخصية الشاذلي بن جديد من حيث الميلاد والطفولة والسيرة المهنية وتدرجه في الرتب العسكرية ويذكر البزاز أن الشاذلي أعلن في أول خطاب له للشعب الجزائري أنه سيسير على النهج البومديني، وقسم عهد حكم الرئيس الشاذلي بن جديد إلى ثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى: وتبدأ من سنة 1979 إلى 1984 وتميزت بسيطرته على حزب جبهة التحرير الوطني وضرب مراكز القوة في الجيش وذلك بعد أن أدرك أنه لا يمكنه السيطرة على الحزب والدولة دون السيطرة على الجيش، وأحدث تغييرات على مستوى المؤسسة العسكرية.

المرحلة الثانية: وتمتد من سنة 1984 إلى سنة 1988 وتميزت بابتعاده عن الحزب وعن وزرائه والوزير الأول وسلم أمره للعربي بلخير ومولود حمروش.

المرحلة الثالثة: وتمتد من سنة 1988 إلى غاية سنة 1992 حين قدم الرئيس بن جديد استقالته من منصب رئيس الجمهورية، وتميزت بإطلاق إصلاحات سياسية وعسكرية واقتصادية شاملة ففي الميدان السياسي أصدر دستور عام 1989 الذي نص على التعددية الحزبية مما جعل الجزائر تدخل مرحلة جديدة في تاريخها المعاصر وهي مرحلة العمل الديمقراطي.

وأفاد الباحث أن الجزائر عنى عهد بن جديد دخلت مرحلة جديدة من الحياة السياسية ترجمها على الصعيد الداخلي العفو عن المساجين السياسيين، والسماح بعودة الشخصيات المعارضة أمثال بن بلة، ومحساس، والطاهر الزبيري، وآيت أحمد.

ثم تطرق إلى التحولات الإدارية، وكذا تنامي المعارضة الداخلية وظهور نظام التعددية الحزبية، وخلص خريطة الأحزاب الوطنية وصنفها إلى صنفين الأحزاب الوطنية

والديمقراطية والاشتراكية، والأحزاب الإسلامية، ثم تناول بشكل مختصر الشروع في العملية الانتخابية في أول تجربة ديمقراطية تطرق فيها إلى الانتخابات البلدية عام 1990 وفوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ والانقلاب على الدستور.

وتناول في الفصل الثالث **التطورات الاقتصادية في عهد الشاذلي**، وتطرق فيها إلى إجراءات الشاذلي بن جديد الاقتصادية، ثم نتائج التحولات الاقتصادية، وقسمها إلى عدة عناصر في مجال الزراعة وفي مجال التجارة، لينتقل بعدها إلى الحديث عن مشكلة الديون الخارجية، وعدد أسبابها الداخلية والخارجية، وتتبع إجراءات الدولة للتخلص من الديون، ثم ينتقل بنا للكلام عن قطاع النقل والمواصلات والاتصالات وبحث في قضايا الطاقة بأنواعها المختلفة، وحلل الوضع الاقتصادي مستنتجا أنه كان مريحا في بداية عهد الشاذلي بن جديد تدهور في نهاية الثمانينات، وكان وراء انتفاضة 5 أكتوبر 1988 التي كان لها آثارا حسنة على مستقبل الجزائر حيث فتحت الباب على مصراعيه للممارسة الديمقراطية. وأشاد بالحالة الاقتصادية المريحة في السبعينيات وبداية الثمانينيات حيث كللت الجهود المبذولة من طرف الدولة الجزائرية في عهد الرئيسين هواري بومدين والشاذلي بن جديد، إلا أن انخفاض أسعار النفط في نهاية الثمانينيات ترك آثارا سلبية على الوضع العام للاقتصاد الجزائري الذي تميز بالتضخم وارتفاع نسبة البطالة وضعف القدرة الشرائية للمواطن، واضطرت الدولة إلى الاستدانة من الخارج، فكانت تلك الظروف وراء أحداث الخامس من أكتوبر 1988، وابرز في مقدمة هذا الفصل دور الجزائر في عالم الدول النامية من خلال مناداتها على لسان الرئيس هواري بومدين في الأمم المتحدة باسم حركة عدم الانحياز بضرورة إقامة نظام اقتصادي عالمي عادل.

ومنذ تولي الشاذلي بن جديد رئاسة الجمهورية شرع في سياسة اقتصادية هدفت إلى دفع وتيرة التنمية الاقتصادية المحلية قصد توفير الحاجيات الأساسية للسكان تصدير الفائض وذلك في مسعى التقليص من الاعتماد الكلي على المحروقات، وأدت سياسته الاقتصادية إلى التوجه نحو حل العديد من المشاكل التي كان الشعب الجزائري يتخبط فيها منها الإسكان، وتوفير المياه الصالحة للشرب ورفع مستوى المعيشة عن طريق رفع أجور العاملين في القطاعات الاقتصادية والخدماتية، ومن أبرز الفئات التي حظيت باهتمام الدولة في هذه المرحلة المهمة هي

فئة رجال التعليم نظرا للمهمة النبيلة التي كانوا موكلين بها وهي تربية وتعليم النشء وإعدادهم للمستقبل، وتميزت فترة حكم الشاذلي بأنها امتداد لمرحلة حكم الهواري بومدين من حيث إرساء قواعد صناعة وطنية متينة للحد من التبعية الخارجية.

ومن إنجازات هذه المرحلة حسب الباحث دعم الإنتاج الزراعي وتحقيق الاكتفاء الذاتي، وفي أواخر الثمانينيات اتضح جليا فشل القطاع العام في الاستجابة لمتطلبات التنمية على الرغم من أنه كان يحظى بدعم واهتمام الدولة من أجل إنجاح سياسة المخططات وتبين في النهاية بن أصبح يشكل عبئا ثقيلا على خزينة الدولة.

وأمام هذا الواقع بدأ التوجه نحو القطاع الخاص، وتدعيمه، وتشجيعه من أجل النهوض بالتنمية الوطنية المنشودة، فقد ركز الاهتمام بقطاع التعليم والسكن وتوفير المياه من خلال إقامة السدود والنهضة الثقافية للوصول في النهاية إلى التنمية الشاملة المنسجمة. واستخلص الكاتب أن تشجيع القطاع الخاص والاستثمار الأجنبي كان يهدف إلى منافسة القطاع العام لضمان التسيير العقلاني للاقتصاد، والتقليل من الاعتماد على الاستيراد، وكما أولت الدولة منذ الوهلة الأولى اهتماما بقطاع التكوين المهني لضمان تكوين الكفاءات الوطنية بغية الاعتماد عليها في العملية التنموية حاضرا ومستقبلا.

ومن سلبيات المرحلة في المجال الاقتصادي حسب الكاتب غياب رؤية واضحة وتشجيع استيراد المواد الاستهلاكية، وكذا غياب سياسة نقدية رشيدة تسبب في انعدام أي تناسب بين حجم الأوراق النقدية المسحوبة من طرف البنك المركزي الجزائري وحجم الإنتاج المرتبط بالمجهود البشري، بالإضافة إلى أن سياسة من أجل حياة أفضل التي رفع شعارها الرئيس بن جدد نتج عنها فتح أبواب الاستيراد دون "رقابة حقيقية وجادة" أدى إلى طهور حوالي ستة آلاف ملياردير وهم سماسرة أغلبهم من دوائر النظام، ووجد الرئيس بن جديد نفسه أمام مشكلة الإسراع في التحول إلى التوجه الليبرالي بع ارتباطه بالغرب. وأشار إلى مضاعفات الأزمة الاقتصادية العالمية على الجزائر في منتصف الثمانينيات حيث ساهمت إلى حد كبير في إفلاس القطاع العام، وازدياد حجم الاستهلاك على حساب الإنتاج مما جعل البلد يعاني من أزمة اقتصادية تجلت مظاهرها في ندرة المواد الغذائية الاستهلاكية، وظهور السوق السوداء والمضاربة والطوابير الطويلة التي باتت من يوميات

المواطن الجزائري فساهمت هذه الوضعيات مع مرور الوقت في تفجير الوقت مظاهرات 5 أكتوبر 1988 التي مهدت للتعددية الحزبية في الجزائر منذ 1989.

أما الفصل الرابع فقد أدرجه تحت عنوان **التغييرات الاجتماعية والإصلاح في الجزائر** وخصصه بالدراسة حالة المدن الجزائرية، ثم المجتمع الجزائري، والأسرة الجزائرية ليتطرق إلى الحركات الاجتماعية: فبدأ بالحديث عن العمال، ثم عن المرأة، ثم الطلبة وسلط الضوء كذلك على الحركة الجمعوية ليختم الفصل الرابع بالحديث عن الديمقراطية وحقوق الإنسان في الجزائر ويخلص إلى القول أن الجزائر قطعت أشواطا نحو العمل الديمقراطي وحقوق الإنسان لولا توقيف المسار الانتخابي على يد المؤسسة العسكرية الأمر الذي أدخل البلاد في دوامة الصراع والعنف الذي كانت نتائجه وخيمة على الدولة والشعب ماديا ومعنويا. وما نستشفه من كلام الباحث عن حالة المدن والسكان أن الحكومة الجزائرية أولت حرصها الشديد على التكفل بمشاكل السكان والمدن والتوسع العمراني وقضية التخطيط، ونفس العناية خصتها الحكومة في عهد الشاذلي بن جديد للمجتمع وعملت على تطويره وتحقيق العدالة الاجتماعية، وأشار إلى التغييرات الحاصلة في المجتمع الجزائري جراء النزوح الريفي وتحول الفلاحين إلى العمل في القطاعات الأخرى وزوال برجوازية الأرض كنتيجة لذلك وكذا قيام الدولة بتأميم الأراضي الزراعية، وقد أدت الممارسات البيروقراطية والفساد الإداري إلى الاعتقاد في فشل القطاع العام في تحقيق التنمية المنشودة إلا أن عدا الاعتقاد خاطئ ولابد أن يكون هناك تكامل موضوعي بين القطاعين العام والخاص لإنجاح العملية التنموية.

وفي حديثه عن الأسرة لاحظ الباحث التغيير الذي طرأ على الأسرة الجزائرية مع نهاية السبعينيات حيث ظهرت تفككت الأسرة الموسعة لتحل محلها الأسرة المصغرة وأشاد بالدور الذي كانت الدولة تلعبه في سبيل صيانة الاسرة والعمل على تطويرها من خلال فرض مجانية التعليم وحريته، والمنح التي كانت تقدمها للطلبة وتوفيرها للمطاعم المدرسية ومجانية العلاج وتوفير الضمان الاجتماعي، وتوفير المخيمات الصيفية ودور الحضانة ولاحظ غياب دور المسارح وتوفير كتب قصص الأطفال وقاعات السينما للأطفال، وكما لم تهمل الشباب من الاهتمام بتثقيفهم وتوفير حاجياتهم لضمان عدم انحرافهم وتشجيعهم على التكوين المهني وتوعيتهم اتجاه وطنهم.

ولاحظ الباحث انتشار الفساد والتزوير، والرشوة في الوسط الجزائري، والاستغلال الفاحش للمنصب وأوعز ذلك للتغييرات الحاصلة في الميدان الاقتصادي ولذا كانت الدولة الجزائرية حريصة على تكوين الشباب ليس دينيا وأخلاقيا فحسب بل سياسيا كذلك.

وبخصوص الحركات الاجتماعية تحدث الكاتب عن فئة العمال التطور الحاصل في ظروف العمل وتحسن الأجور، وأشار إلى نشاط العمال للمطالبة بحقوقهم رغم غياب تنظيم أو نقابة تقوم بهذا الدور، وذكر أن العمال اغتنموا فرصة انتفاضة أكتوبر 1988 للضغط أكثر على الحكومات للمطالبة بمزيد من الحقوق، وتحسين ظروف العمل، وأصبح الاتحاد العام للعمال الجزائريين له الكلمة والمكانة في إشراك العمال في تحديد السياسات الاقتصادية والاجتماعية، ومما لفت انتباه الكاتب كثرة الإضرابات في هذه الفترة للمطالبة بحقوقهم وبتحسين القدرة الشرائية وتحقيق المساواة، وفي حديثه عن المرأة سجل الكاتب التطور الذي حصل في المرحلة المدروسة لا سيما دخول المرأة عالم الشغل في مجتمع محافظ وشجعت الدولة تعليم المرأة وتكوينها، وفتحت فرص العمل أمامها كما نوه بالجانب التنظيمي للنساء الجزائريات ودخول المرأة الحقل السياسي، ولاحظ الكاتب كثرة أن الجمعيات والتنظيمات النسوية وانقسامها من حيث انتمائها الحزبي أدى إلى ضياع صوتها على الساحة السياسية.

وفي حديثه عن الطلبة لاحظ أن أعدادهم في تزايد مستمر وأن الدولة تبذل قصارى جهودها لاستيعاب أعدادهم واستنتج أن فئة الطلبة تأثرت بالتغييرات الاقتصادية والاجتماعية مما أدى برأيه إلى تدهور مكانة الطالب ومن ثمة ارتمائه بين أحضان أفكار وتيارات مما أدخل البلاد في نفق مظلم من العنف والإرهاب والصراع السياسي. وفي ذات السياق تطرق للحركة الجمعوية في الجزائر التي قال عنها أنها لم تظهر إلا سنة 1990 وعدد أسباب نشأتها وقال أن تدهور الوضع العام منذ منتصف الثمانينيات أدى بالدولة إلى إعادة النظر في سياستها، وأدركت أنها لا بد من إشراك الجمعيات في تسيير شؤون السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، ولكي تضمن السير الحسن للنشاط الجمعوي أصدرت قانون ينظم ويحدد الأطر القانونية لها، إلا أن الكاتب لاحظ أن هذه الجمعيات في الواقع لم تكن تدافع عن المصلحة العليا للبلاد بقدر ما كانت تحرص على مصالحها.

ثم يستعرض قبل أن يختم هذا الفصل نقطة مهمة وحساسة باتت تشكل ظهور الأحداث القضايا وهي الديمقراطية وحقوق الإنسان في الجزائر ويرجع بداية الفكرة الديمقراطية إلى ما بعد أحداث أكتوبر التي جعلت المواطن في اعتقاده أكثر وعيا ورغبة في التغيير وإدراك هذا المواطن أن سياسة الحزب الواحد لم تلب طموح المواطنين الجزائريين، ولخص الكاتب عوامل التحول الديمقراطي في الجزائر منها عوامل داخلية وأخرى خارجية ثم نوه بالدور الذي لعبته الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان التي تشكلت عام 1987 والتي لقيت الدعم والتشجيع من طرف الرئيس الشاذلي بن جديد وكانت لبنة أساسية في العمل الديمقراطي الذي كان يعني لدى الجزائريين ببساطة الاختيار الحر لممثليهم، واحترام إرادة الشعب، وحرية التعبير، والممارسة السياسية والمعارضة، واستنتج الكاتب في الأخير أن انضمام الجزائر إلى اتفاقيات حقوق الإنسان جاء ترضية أمام الرأي العام العالمي والبرهنة على أنها دولة ديمقراطية تحترم حقوق الإنسان وتصون كرامته وحياته.

وخص **الفصل الخامس للتحولات في جوانب الثقافة والتعريب والإدارة التربوية والإعلام 1979– 1992** حيث تناول فيه بالدراسة والتحليل إشكاليات عديدة منها أولا طبيعة الخطاب اللغوي والثقافي وأبعاده، ثانيا المشكلة الأمازيغية، ثالثا التعريب وفلسفته وميادينه، خامسا النشاطات الثقافية في السنوات الأولى من حكم الشاذلي ، سادسا المجلات والصحف وبعض وسائل الإعلام.

ففي موضوع طبيعة الخطاب اللغوي والثقافي وأبعاده أثار إشكالية اللغة ونوعية الخطاب السائد خلال هذه المرحلة فذكر أن نهية السبعينيات تميزت بنشاط ثقافي مزدهر لكنه لم يستطع الخروج من سيطرة نظام الحزب الواحد، وركز على مشروع التعريب وإعطاء اللغة العربية مكانته لكن يبدو أن التيار الأمازيغي والفرنكفوني لم ترق له هذه السياسة وعبر الطرف الأول عن معارضته بما سمي الربيع الأمازيغي في أفريل 1980، وشهد الحقل الثقافي صراع النخب بين اتجاهات ثلاثة عربي، وفرنكفوني، وأمازيغي، ويبرز الكاتب كيف تعاملت الدولة مع هذا الصراع من خلال التمسك بالمبادئ التي عبرت عنها الثورة بأن الشعب الجزائر شعب عربي مسلم وأن دين الدولة الإسلام، وذلك من خلال ميثاق الوطني لعام 1986 الذي جاء ليؤكد الهوية الجزائرية وأصالتها، وتطرق إلى أنصار اللغة

الأمازيغية والمطالبين بترسيمها أنهم لا يرفعون شعار اللغة الأمازيغية في مواجهة اللغة الفرنسية بل اللغة الأمازيغية في مواجهة اللغة العربية وتبنت هذه المطالب الأحزاب السياسية البربرية والفرنكفونية التي انبثقت عن دستور عام 1989. ويعتقد الكاتب أن لفهم المسألة الأمازيغية وخفياتها وأهدافها لا بد من التعرف على العنصر البربري تاريخيا فحاول تتبع الوجود البربري في المنطقة وأصول البربر وتقسيماتهم من قبائل وشاوية وميزابيون وطوارق، وتطرق لمختلف الآراء والاتجاهات في النظرة للمسألة البربرية، ويرجع جذور المسألة إلى العهد الاستعماري، ثم طفت على السطح بعد الاستقلال ويذكر المؤلف أن السلطة ردت على عنف أصحاب هذا التيار بالسماح للإسلاميين بالنشاط في الجامعات لكسر البربر، وتحولت الجامعات إلى ميدان صراع بين الطرفين، وبعد أحداث أكتوبر 1988، أصبح للتيار الأمازيغي أحزابا وجمعيات تدافع عن مطالب البربر، واعترض البربر، على دستور عام 1989 الذي تجاهل اللغة الأمازيغية وطالبوا بأن تكون لغة وطنية مع اللغة العربية، وأبدى الكاتب رأيه بأن الحوار والنقاش الجاد والعقلاني والعميق والهادف هو الكفيل بإنهاء هذا الصراع ونبذ أسلوب الإبعاد والإقصاء.

وأنهى هذا الفصل بالحديث عن التعريب وفلسفته وميادينه فذكر أن التعريب مشكلة مازالت قائمة حتى يومنا هذا، ولخص أهداف التعريب الوطنية وكان الشاذلي يعتبر التعريب أحد المقومات الأساسية في الشخصية الوطنية.

ويستخلص من كلام الباحث أن مهمة التعريب لا تكمن في إصدار القرارات فقط بل في متابعة العملية وفرض اللغة العربية وتعميمها لأن الواقع أثبت وجود معارضة شديدة وإرادة قوية لعرقلة المشروع ولكي يتحقق التعريب وضع الكاتب مجموعة من الإجراءات منها الاهتمام بتعريب التعليم والإعلام تمهيدا لتعميم استعمال الحرف العربي في القطاعات الأخرى، وتتبع مراحل سير العملية حتى أحداث أكتوبر 1988، ومن جملة ما استخلصه أن الجهود كللت بتعريب المناهج التعليمية والتربوية في جميع المستويات رغم الصعوبات التي واجهتها الدولة ومنها سيطرة التيار الفرنكفوني على صنع القرار في الجزائر ولذلك يرى أن عملية التعريب لا تزال مطلبا قوميا لم يكتمل بعد. وأما تحليله لواقع الإدارة التربوية والتعليمية فقد أشاد بجهود الدولة في هذا الإطار رغم الصعوبات والمشاكل التي اعترضتها ويذكر أنه رغم تلك الجهود لا تزال

الإدارة التعليمية تقليدية لم تتماشى مع روح العصر وتتبع الإصلاحات والمناهج التعليمية التي وصفها بأنها غير مستقرة مما عقد من المهمة التعليمية. وأشاد في نفس الوقت بمساعي الدولة في تحسين الأداء التربوي من خلال سهرها وحرصها على توفير كافة الوسائل والإمكانيات للنهوض بالقطاع ومواكبة التطور الحاصل في العالم وزود هذا الموضوع بجداول متنوعة تبين تطور قطاع التعليم والتعليم وهياكله بالأرقام.

وتعرض لبعض النشاطات الثقافية التي عرفتها المرحلة وأراد أن يبرز من خلالها دور الدولة في تشجيع الفعل الثقافي ورعايته، والتكفل به من خلال تشجيع الجمعيات الثقافية وترقيتها لخدمة الوطن وأهدافه كما تطرق في الأخير إلى موضوع في غاية الأهمية والحساسية وهو موضوع الصحافة، حيث صدر قانون عام 1982 ينص على توضيح الوضع القانوني للإعلام وتشجيع صدور الصحف فعجت الساحة الجزائرية بعدد كبير من الصحف والمجلات خاصة بعد تكريس التعددية الحزبية، وحرية التعبير أطلق الباحث على هذا التطور الانفجار الإعلامي، لكن التطورات السياسية الحاصلة في الجزائر بعد توقيف المسار الانتخابي انعكس سلبا على الصحافة والإعلام، حيث تم اغتيال عدد من الصحفيين وشددت الرقابة على الجرائد والمجلات مما اعتبره الباحث تراجعا لاحترام حرية التعبير وحقوق الإنسان مما نتج عنه تدهور إعلامي خطير، كما لم يهمل الباحث الحديث عن فن المسرح، ودوره في المجتمع الجزائري، ولخصه بالقول أنه كان مسرح يعكس الواقع الاجتماعي، والاقتصادي، والتاريخي، وكان يواكب الأحداث والمناسبات مستعرضا نشاطات هذا الفن في ولايات عديدة خلال الفترة الممتدة من 1982 إلى 1990 ووصفها بأنه كانت نشيطة.

وختم الدراسة بفصل سادس وضعه تحت عنوان **العلاقات الخارجية الدبلوماسية الدولية في عهد الشاذلي بن جديد** تطرق فيه بقليل من التحليل والمناقشة العلاقات الخارجية للجزائر في الفترة المدروسة عنونه بالعلاقات الدبلوماسية الدولية في عهد الشاذلي بن جديد فتناول علاقات الجزائر مع دول المغرب العربي حيث أفرد كل بلد على حدى فبدأ بالعلاقات مع تونس التي عرفت التحسن، والتطور لاسيما بعد فتح حدود تونس أمام الجزائريين في جويلية 1980 ثم تبعتها اتفاقيات ثنائية بين البلدين من أجل تنمية العلاقات

وتعزيزها وتوطدت تلك العلاقات بعد زيارة الرئيس الشاذلي بن جديد إلى تونس في مارس 1983 كما جرى في المرحلة ترسيم الحدود بين البلدين وفض النزاع الذي كان قائما، وأمضى الطرفان اتفاقية الإيخاء والوفاق، وأعرب الطرفان أيضا بيناهما بضرورة تأسيس اتحاد مغاربي. ثم استعرض علاقات الجزائر مع **المغرب الأقصى** التي طبعها التوتر في المرحلة الأولى من الاستقلال بسبب مشكلة الحدود بين البلدين واستمرت حالة التوتر بسبب مشكلة الصحراء الغربية وأكد على أسلوب الجزائر في الدعوة إلى الحوار والاستعداد لمناقشة القضايا التي تخص البلدين بالطرق الدبلوماسية والسياسية، وأكد الباحث في هذا الموضوع وقوف الجزائر في عهد الشاذلي بن جديد إلى جانب الشعب الصحراوي في حقه في تقرير مصيره، وكللت الجهود والمساعي التي كانت الأحزاب المشهورة المغاربية بضرورة وضع حد للخلافات القائمة بين البلدين، وطي صفحة الماضي وفتح صفحة جديدة للتعاون، والتنسيق من خلال إرساء قواعد اتحاد مغاربي بعد عودة العلاقات بين البلدين عام 1988 بعد قطيعة بدأت عام 1976.

ومع **ليبيا** تميزت العلاقات بالودية حيث أبرمت العديد من اتفاقيات التعاون في الميادين السياسية، والاقتصادية والثقافية، وأقيمت العديد من مؤسسات الشراكة بين البلدين في مجال الطاقة، والصناعة الثقيلة، والتجارة وهذه الاتفاقيات مهدت لقيام اتحاد المغرب العربي الذي كان هدف كل دولة مغاربية.

وأخيرا مع **موريطانيا** التي يقول أن العلاقات بين البلدين كانت اقتصادية تمثلت في اتفاقيات التعاون والشراكة في المجال الصناعي، والزراعي، وللتجاري، والخدمات والطاقة وركزت على تبادل التجارب والخبرات في الميادين السالفة الذكر، وتطرق إلى دور الجزائر في التوسط لحل النزاع الذي وقع بين المغرب والصحراء الغربية والموريطانيا وساعد ذلك على حدوث تقارب بين البلدين وتعززت العلاقات السياسية أكثر. ثم استعرض بشكل موجز علاقات الجزائر مع **العراق**، حيث وصفها بالجيدة جدا، وأشاد بدور الجزائر في إنهاء الحرب العراقية الإيرانية، وتميزت العلاقات السياسية بتبادل الزيارات بين الرئيسين الشاذلي بن جديد وصدام حسين، وفترت العلاقات بين البلدين فترة تفجير طائرة الدبلوماسي محمد الصديق بن يحي حيث وجهت أصابع الاتهام إلى العراق إلا ان العلاقات سرعان ما

عادت جيدة، ورفضت الجزائر الاجتياح لعراقي للكويت في عام 1990 كما رفضت في ذات الوقت التدخل الأجنبي العسكري فيه وكانت متمسكة دائما بالحوار كأسلوب لحل النزاعات ونبذ العنف واستعمال القوة.

وفيما يتعلق بعلاقات الجزائر مع **مصر** استنتج الباحث أنها كانت سيئة بسبب معاهدة كامب ديفيد التي دعت الجزائر إلى محاربتها، إلا أن العلاقات كانت في الغالب طيبة وودية ميزها التعاون والتشاور فيما يتعلق خاصة بالقضايا التي تهم الأمة العربية والإسلامية. ويؤخذ على المؤلف في هذا الفصل أنه لم يتطرق إلى العلاقات مع الصحراء العربية رغم كونها سبب جوهري للخلافات بين الجزائر والمغرب وهي في الوقت ذاته من معوقات التي يعاني منها اتحاد المغرب العربي.

ويأخذنا دائما في نفس الموضوع إلى علاقات الجزائر مع الدول العربية فاقتصر على ذكر ثلاثة دول فقط هي العراق، ومصر، وسوريا دون أن يذكر لنا سبب اختياره لهذه البلدان مع العلم أن للجزائر علاقات موسعة مع دول عربية أخرى. وتناول علاقات الجزائر مع إيران، ثم علاقات الجزائر مع دول العالم الكبرى، فاختار مجموعة من الدول منها فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي.

نستخلص من خلال عرض لعلاقات الجزائر مع إيران أنه مرت بمرحلتين مرحلة ما قبل عام 1991 وتميزت بالود والصداقة خاصة في عهد الرئيس هواري بومدين حيث زار آيات الله الخميني الجزائر عام 1978، وقام الرئيس س الشاذلي بزيارة إلى طهران سنة 1984، ولا شك أن للدبلوماسية الجزائرية في هذه المرحلة دور في حسن العلاقات بين البلدين، أما مرحلة ما بعد عام 1991 فقد تميزت بالتوتر والقطيعة بسبب دعم إيران للجبهة الإسلامية للإنقاذ وتهجمها على الجزائر بعد توقيف المسار الانتخابي الأمر الذي عدته الجزائر تدخلا في شؤونها الداخلية ففقدت بذلك حسب ما توصل إليه البزاز إيران حليفا مهما في منطقة المغرب العربي والشمال الإفريقي.

أما بالنسبة للعلاقات بين الجزائر **وفرنسا** فيذكر الباحث **أنها تميزت منذ الاستقلال** إلى وفاة هواري بومدين بالانقطاع تارة والانفتاح تارة أخرى، وعبر عن اندهاشه دون أن يحلل هذه الإشكالية من أنه رغم التوتر فإن "فرنسا ظلت سيدة الموقف سياسيا وثقافيا

واقتصاديا في الجزائر"، وتميزت في مجملها في عهد هواري بومدين بالتوتر. إلا أن وصول الشاذلي بن جديد إلى الحكم عام 1979 أعاد الأمل إلى الفرنسيين لربط علاقات مع النظام الجديد في الوقت الذي كانت فيه دوائر الحكم قد رجحت لصالح التيار الفرنكفوني؛ وبادرت حينها فرنسا لحل الخلافات بين البلدين، وتعزيز التعاون وعلاقات الود إشارة منها لطي صفحة الماضي، والتفكير في مستقبل البلدين، وكللت جهود الطرفين بالتوصل لعقد اتفاقيات تعاون في شتى المجالات لا سيما منها الصناعية والتجارية والثقافية. وذكر البزاز أن فرنسا لم تقف مكتوفة الأيدي إزاء الأحداث التي عرفتها الجزائر في مطلع التسعينيات حي ازداد قلقها بعد فوز الإسلاميين في الانتخابات البلدية والبرلمانية، وذكر أنه من غير المستبعد أن يكون لها دور في تدخل الجيش، وتوقيف المسار الانتخابي، وإرغام الرئيس الشاذلي على الاستقالة، ومما يدعم حسب رأيه هذا الاتجاه ذلك الارتياح التي أبدته حكومة باريس اتجاه التطورات الحاصلة بعد ذلك، ووصف العلاقات مع **الاتحاد السوفياتي** بالجيدة وذكر أنها تعود إلى زمن الثورة التحريرية وتعززت أكثر بعد الاستقلال لاسيما في عهد هواري بومدين، وتميزت العلاقات بين البلدين بالتعاون في الميدان الصناعي والتجاري، والصحي، والعسكري وكذا التعاون في مجال الطاقة والمناجم والثقافة حيث كان الاتحاد السوفياتي قبلة لآلاف الطلبة الجزائريين الذين كانت ترسلهم الدولة للدراسة في جامعاته ومعاهده، إلا أن الباحث لا حظ أن ميل الرئيس الشاذلي إلى ربط علاقات مع الغرب وبالذات مع فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وعد ذلك نقلة نوعية في مسار السلوك السياسي الخارجي الجزائري، ولم يهمل الباحث الحديث عن المشاكل العديدة التي كان يتخبط فيها الاتحاد السوفياتي في نهاية الثمانينيات، والتي انتهت بانهيار الاتحاد السوفياتي الذي شعر مع سلوك الشاذلي السياسي بأن نفوذه في منطقة الشمال الإفريقي على وشك فقدانه.

وفيما يتعلق بالعلاقات بين الجزائر **والولايات المتحدة** استنتج الباحث أن هذه الأخيرة سعت لربط علاقات مع الجزائر منذ استقلالها عام 1962 حيث كللت المفاوضات الطويلة بعقد عدة اتفاقيات في الجانب الاقتصادي خاصة، ولم تخف الولايات المتحدة رغبتها في تنمية النشاط الثقافي قصد منافسة فرنسا في المنطقة ، وأشار إلى أن حكومات واشنطن كانت قلقة اتجاه الدور السياسي الذي كان يقوم به هواري بومدين على كافة

الأصعدة ولاسيما فضحه للدعم الأمريكي لإسرائيل، وتوصل الباحث إلى أن وصول الرئيس الشاذلي إلى الحكم بعد وفاة هواري بومدين قوبل بالارتياح، ولعب دور الوساطة الجزائرية في حل أزمة الرهائن الأمريكيين في إيران إلى زيادة التقارب الأمريكي الجزائري الذي تدعم بعد الزيارة التي قام بها الشاذلي بن جديد إلى واشنطن عام 1985، وساعد نهاية الحرب الباردة سنة 1990 على زيادة اهتمام الولايات المتحدة بمنطقة المغرب العربي وبخصوص الجزائر نظرا لموقعها الجيواستراتيجي، وكان موقفها مؤيدا للنظام الجزائري في صراعه مع الإسلاميين حفاظا على مصالحها الحيوية في البلاد.

تقييم الكتاب:

الكتاب في عمومه قيم ويحتوي على معلومات مهمة حاول الباحث البراز جاهدا أن يقدم لنا تحليلا شاملا للمرحلة التي تعد من المراحل الحاسمة في تاريخ الجزائر المعاصر، وذلك بالنظر لحساسية المرحلة التي جاءت بعد مرحلة حكم الرئيس هواري بومدين التي شهدت فيها الجزائر تطورات على كافة الأصعدة فورث الشاذلي عن هذه المرحلة وتلك التي سبقتها عبء ثقيل فكان عليه المحافظة على السمعة الطيبة التي كانت تحظى بها الجزائر بعد الاستقلال وفي الوقت نفسه كان عليه الاستجابة لمتطلبات المرحلة بالنسبة لضرورة التكفل التام بمتطلبات الشعب المتنوعة ومواكبة الأحداث الإقليمية والدولية ورغم أن الباحث كان جديا في طروحاته وتحليلاته، اعتمد الباحث في بحثه هذا على الكثير من المصادر المراجع والمقالات والرسائل الجامعية باللغة العربية ولغات أجنبية،أثبتها كلها في قائمة المصادر والمراجع، وهي بيبليوغرافيا غنية جدا تدل على اطلاع واسع للباحث وإلمامه بموضوع بحثه. وجاء أسلوب الكاتب بسيط وسلس وأكاديمي في طرحه للقضايا والمسائل ولغته سليمة وواضحة تدل على إلمامه بتقنيات البحث التاريخي العلمي، إلا أننا يمكن تسجيل الملاحظات التالية والتي نعتقد أنها لا تنقص من قيمة البحث ولا من أهميته باعتباره موضوع بكر لا يزال لم يحظى بالدراسة الكافية. ومما زاد من قيمة البحث العلمية تلك الاقتباسات التي استعملها في متون البحث من أقوال مأخوذة من خطابات الرئيس الشاذلي بن جديد وأقوال وآراء لمفكرين ومنظرين في مختلف التخصصات والموضوعات، كما دعم البحث كذلك بمجموعة من الملاحق تمكن القراء من الإطلاع عليها من أجل توسيع الفهم وتعميم الفائدة. ولاحظنا أن عدم

تمكنه من زيارة الجزائر حرمه من الاستعانة بالمادة الأرشيفية الثرية حول المرحلة وعلى الدراسات الأكاديمية الجزائرية، وكذا الصحف، والجرائد اليومية والأسبوعية التي تحتوي على معلومات وأخبار للأحداث اليومية لا سيما منذ انتفاضة أكتوبر 1988 مما جعل تحليلاته والمعلومات التي قدمها في حاجة إلى دعم وإثراء، كما أن عدم زيارته للجزائر حرمه من الاطلاع الجيد على ما قد يساعده في بحثه من وثائق من مقابلات مع شخصيات شاهدة على المرحلة قيد الدراسة وشخصيات احتكت بالرئيس بن جديد وكانت مقربة منه، أو ممن كانوا رفقاء له في طفولته أو أصدقاءه بهدف كشف جوانب من حياته الخاصة وجوانب من مواقفه السياسية الشخصية.

– أهمل الباحث الحديث عن موقف الجزائر من القضايا والأحداث العربية والإسلامية والدولية في هذه المرحلة وتأتي على رأس تلك القضايا القضية الفلسطينية، والاعتداء الإسرائيلي على لبنان سنة 1982.

– لم يتطرق لموقف الجزائر من الصراع الدولي الذي كان على أشده بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية (الحرب الباردة)، كما لم يتحدث عن موقف الجزائر كذلك من الغزو السوفياتي لأفغانستان وهي بؤرة من بؤر التوتر في العالم.

– يلاحظ على بعض التحليلات التي قدمها لبعض القضايا والإشكاليات أنها ينقصها العمق والتحليل الدقيق المبني على تقديم الحجج والبراهين والأدلة ومن ذلك تعاطيه مع الأزمة الجزائرية خلال التسعينيات حيث يبدو لنا انحيازه للاتجاه الإسلامي وكان عليه أن يكون محايدا في طرحه باعتباره ليس طرفا في القضية وبعيدا كل البعد عن الأحداث.

– اقتصاره في تناوله علاقات الجزائر مع الدول العربية على بعض الدول دون أن يقدم تبريرا يعلل به ذلك.

إن هذه الملاحظات المسجلة لا يمكنها بأي حال أن تنقص من عمل الباحث الذي أحاط بجميع موضوعات البحث وهي في اعتقادنا واسعة ومتشعبة ومعقدة في بعض الأحيان لا سيما فيما يتعلق بالأحداث التي سبقت استقالة الرئيس الشاذلي بن جديد وتلك التي جاءت بعدها، والباحث يستحق منا الشكر والثناء والتقدير على جهده المبذول أولا وعلى اهتمامه بالكتابة في تاريخ الجزائر المعاصر ثانيا فهو بهذا العمل يكون قد ساهم في كتابة تاريخ مرحلة مهمة وحاسمة من تاريخ الجزائر بقلم عربي يكن كل الاحترام والتقدير للدولة الجزائرية وللشعب الجزائري.

خاتمـــة: وجعلها عبارة عن حوصلة وخلاصة لما جاء في فصول الكتاب توصل إلى استنتاجات اهتدى إليها بعد بحث ودراسة وتحليل للأحداث الداخلية دون أن يهمل التطورات الخارجية وتأثيراتها المتعددة الجوانب، كما استنتج الصعوبات التي واجهها الرئيس هواري بومدين لا سيما فيما يتعلق بالتعريب من طرف التيار الفرنكفوني وقد وسجلت واردات الدولة النفطية رقما معتبرا وصل إلى 14 مليار دولار مما ساعد على الإصلاحات الاقتصادية. وتميزت هذه الفترة بتدهور الأوضاع اقتصاديا واجتماعيا تسبب في فوضى انتهت بثورة أو انتفاضة الخبز والجوع في أكتوبر 1988.

وفي الميدان الاقتصادي خلص إلى القول أن فشل الإصلاحات وتدني أسعار المحروقات أدى إلى سقوط الدولة في مأزق الديون الخارجية مما أدخل البلاد في أزمة خانقة.
وفي الميدان الاجتماعي استنتج أن الدولة تمكنت من إنجاز عدة مشاريع كبرى تشمل توفير المرافق العامة استجابة لمتطلبات السكان المتزايد عددهم من خلال بناء المساكن والمستشفيات ومد شبكة الطرقات والعمل على تطويرها، وفي الميدان الثقافي أشاد الكاتب بالإنجازات الكبرى للدولة الجزائرية في عهد الشاذلي بن جديد حيث أقامت الدولة المدارس والمعاهد والكليات والجامعات قصد النهوض بالثقافة والتعليم واهتمت بالأطفال باعتبارهم أمل المستقبل. وذكر في النهاية أن الدولة الجزائرية أعادت العلاقات مع فرنسا وسعت إلى ربط علاقات مع الولايات المتحدة كما سعت لمد علاقات صداقة ووود وتعاون مع المشرق العربي والإسلامي وأشاد بالدور الذي لعبته في التوسط لإنهاء الحرب العراقية الإيرانية، وعملت على إرساء قواعد اتحاد مغرب عربي، وشهدت البلاد في المرحلة الأولى من حكم بن جديد الاستقرار والازدهار لكن المرحلة الأخيرة الممتدة من 1984 إلى 1992 شهدت اضطرابات وأزمات كان من نتائجها انتفاضة 5 أكتوبر 1988 والتي أعقبتها إصلاحات سياسية واقتصادية كللت بالشروع في الحياة الديمقراطية التي أفرزت فوز الإسلاميين وهذا لم يرق للمؤسسة العسكرية التي أرغمت الرئيس الشاذلي على الاستقالة ونتج عن توقيف المسار الانتخابي دخول البلاد في مرحلة من الفوضى والاضطرابات الخطيرة وختم الكتاب بقوله أن فترة حكم الرئيس الشاذلي بن جديد تعد من الفترات المضطربة وغير المستقرة في تاريخ الجزائر المعاصر.